

كتاب الشهر 14 سلسلة شراع

عبد الكريم الخطابي

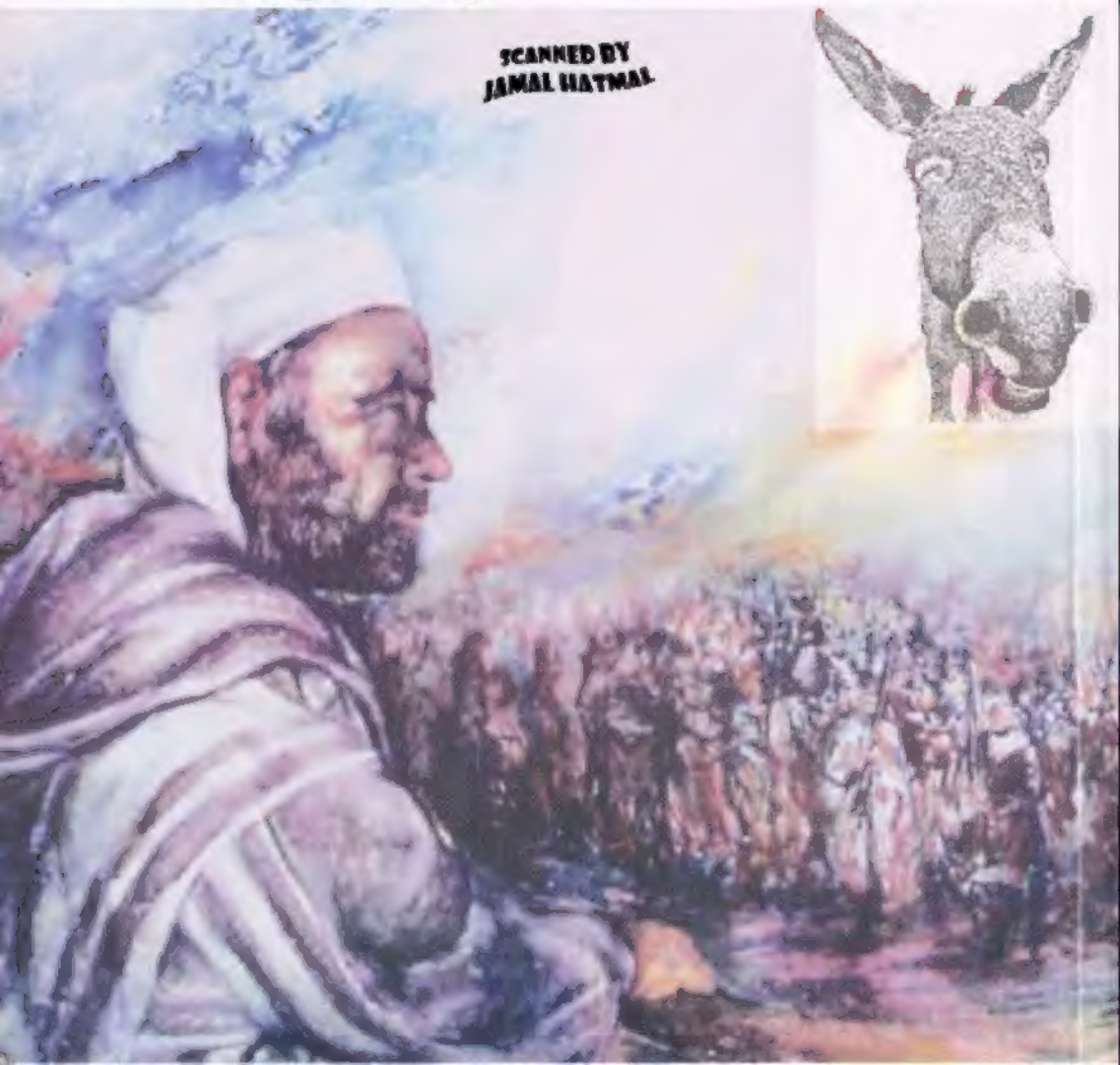
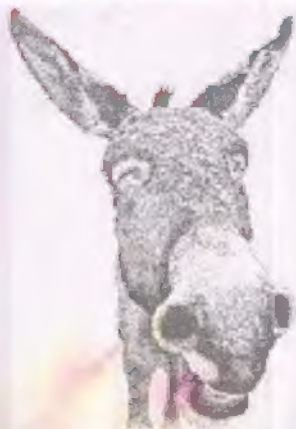
(حرب الريف والرأي العام العالمي)

الطيب بوتبقالت

من أجل مجتمع
مغربي قارئ

10 دراهم

SCANNED BY
JAMAL UATMAL



سلسلة شراع

كتاب شهري يصدر عن وكالة شراع
لخدمات الإعلام والاتصال

رئيس التحرير : خالد مشبال
المستشار الفني : أحمد بن يوسف

مركز الإدارة

137 شارع ولي العهد - طنجة

الهاتف : 94.42.12

37.39.27

الفاكس : 94.42.16

العدد الرابع عشر : ذو القعدة 1417 - أبريل 1997

« شراع »



سلسلة شهرية لنشر ثقافة الإعلام

التمن : 10 دراهم

« من أجل مجتمع مغربي قارئ »

« شهادة الدكتور المهدي المنجرة ، إعتراف جميل من عقل كبير
يقدر جهود الآخرين ، ويقود معهم معارك التحدي والطموح
" من أجل مجتمع مغربي قارئ " . »

وسام المسؤولية ..

عند
إفتتاح الندوة الأولى حول « أزمة القراءة وجهوية الإعلام والثقافة » بالمعهد الإسباني في طنجة ،
لم يخطر بالبال أصلاً أن يكون موضوع جائزة الدكتور المهدي المنجرة السنوية للتواصل الثقافي بين الشمال والجنوب ،
ضمن فقراتها ..

ولا أظن أحداً آخر غير الدكتور المنجرة ، كان على علم مسبق بأن هذا (الإستحقاق الأدبي الرفيع) ، سيكون هذه

السنة (1997) من حظ « وكالة شراع » الفتية ،
و « مؤسسة مستقبلات الدولية » ..

ويمشاعر ملتبهة ، امتزجت بانفعالات الدهشة والفرح ،
تلقيت هذه المفاجأة السارة .. واكتفيت بعناق أستاذنا المهدي
المنجرة كأحسن تحية على تقديره الكبير لمشروعنا الإعلامي
الواعد ..

لم أجد في حينه جملة واحدة تطاوع لساني ، أرد فيها
على شهادة الدكتور المنجرة عند ما قال في ختام (ندوة
طنجة الرمضانية) :

— ... « إنه كان من الأجدر هذه السنة ، منح الجائزة
الخامسة للتواصل الثقافي شمال ـ جنوب لمؤسستين ، ومن
خلالهما تشريف أشخاص يعملون على تحقيق أهداف تتوخى
التقريب بين الثقافات » ..

إنها شهادة مفكر منصف ، لا يشجع عن مجاملة ، ولا
يتردد لحظة واحدة في مساندة ودعم ما يراه جاداً من
المبادرات الإعلامية والثقافية والحقوقية ، الساعية بمباشرة
وصبر إلى فتح قنوات جديدة لنشر الثقافة الشعبية ، وإقرار
حق كل مواطن في المعرفة والتنوير ..

المهدي المنجرة منذ البداية كان من أوائل المتحمسين

اشتهر عنا الإعلامي الطمّوح .. وكان أول ريان في رحلات
شراع مع كتاب الشهر .. وكان « حوار التواصل » خير
كتاب نفتتح به هذه السلسلة الإعلامية والثقافية التي ذاع
صيتها بسرعة بين فئات واسعة من القراء المتعلمين ، يتكاثر
عددهم كل شهر ..

وتعتز « وكالة شراع » أن يكون الدكتور المهدي المنجرة
مستشارها الإعلامي الموجّه والناصح ..

لا يمر مساء دون أن يتصل بنا حتى ولو كان خارج
المغرب .. دائما يريد أن يطمئن على أحوال مقابلة إعلامية
فتية للتواصل الثقافي ، رأس مالها الأساسي تطوع المؤلفين
والتشكيليين بإنتاجهم الفكري ، وثقة القراء الأوفياء
بإقبالهم المتزايد ..

حول هذه النقطة بالذات قال الدكتور المهدي المنجرة في
شهادته الإعلامية وهو يقلدنا (وسام الاعتبار
والمسؤولية) :

« ... ألاحظ في مشروع وكالة شراع روح المشاركة ..
المشاركة الداخلية بالطريقة التي يتعامل بها المساهمون ،
بمن فيهم من يعملون بتلقائية وتطوع .. والمشاركة الخارجية
من قبل المؤلفين المتبرعين للمشروع بحقوق التأليف .. وهذا

شيء نادر في العالم الثالث ، إضافة إلى تبرع التشكيليين بلوحات غلاف كتاب الشهر ، بحيث أن هناك تناسقاً بين النصوص والجماليات .. الجمال شيء أساسي في الحياة .. شيء أساسي في العمل » ..

« المشروع برهن لحد الآن عن استمرارية ومتابعة .. فبإصدار عددها (12) ، تحتفل وكالة شراع بسنة من عمرها » ..

« ميزة أخرى لهذا المشروع ، وهي أنه مقام في منطقة عزيزة تشكل جزءاً كبيراً من ذاكرة المغاربة .. منطقة الشمال » ..

« وكالة شراع لم تعد اليوم في يد شخص أو عشرة ، أو حتى ألف ، هي حسب تقديري في يد مليون من القراء الذين قرأوا أكثر من (200 ألف) نسخة من كتب شراع الصادرة حتى الآن » ..

« أظن أن استمرارية هذا المشروع بين أيدي القراء .. في تقديري ، ومن خلال لقاءات معدودة مع بعض الباعة ، أرى أن ثلثي الذين يواظبون على شراء كتاب شراع هم نفس الأشخاص .. فهذه الوكالة أصبحت عبارة عن شبكة تواصلية .. وإذا بقيت على مستواها من حيث التعامل مع

هؤلاء المساهمين ، فهي شركة والمساهمون هم القراء ..
تقريبا هذا هو ملخص شهادة الدكتور المهدي المنجرة في
يوم منح جائزته السنوية الذي يصادف ذكرى هجوم
قوات التحالف الدولي على العراق الشقيق (17 يناير
1991) ..

ولهذه الشهادة التقديرية أكثر من دلالة .. فهي أولاً
تصدر عن مفكر وخبير مستقبلي ، يشتغل منذ سنوات طويلة
في قضايا وإشكاليات الحوار الحضاري من خلال تقدم
وتخلف بلدان الشمال والجنوب .. كما تصدر عن داعية في
قاعات المؤتمرات والندوات الدولية إلى جعل الإعلام
والثقافة أحد المحركات الأساسية في عملية التنمية ،
وتخطي عتبات التخلف ..

والشهادة ثانياً ، تحثنا على توطيد صلات التقارب
والتمازج بين نصوص التأليف ونصوص التشكيل ، لأن
الكتاب في النهاية إبداع جمالي مشترك ، يغري بالقراءة
والتتبع والإهتمام ..

والشهادة ثالثاً ، إعراف جميل من عقل كبير يقدر جهود
الآخرين ، ويقود معهم معارك التحدي والطموح « من أجل
مجتمع مغربي قارئ » ..

وفي الغد (صباح 18 يناير 1997) ، يزور الدكتور المهدي المنجرة مقر " وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال " ، ويتفقد مكاتبها وتجهيزاتها المتواضعة .. يتبادل مع أسرتها الصغيرة وجهات النظر حول طبيعة (مرحلة الإستحقاقات السياسية والديمقراطية) ، وآفاق مستقبل الإعلام والثقافة في المغرب ، وحول موقع طنجة الجغرافي والتاريخي والحضاري كمدينة متوسطة ، ومركز إعلامي مهم للحوار التواصل الثقافي بين شعوب القارتين الإفريقية والأوربية ..

وخلال حديثه معنا حول « نظام الجهة في المغرب » تمنى أن تستعيد مدن الشمال هويتها المتوسطة لتصبح حقاً ، نوافذ المغرب المشرقة على ثقافة وحضارة العالم .. أخيراً .. وبعد ما يقرب من ساعتين في تجاذب أطراف الحديث حول قضايانا وهمومنا الوطنية ، وضَّح الدكتور المهدي المنجرة دوافع ترشيح « وكالة شراع » لجائزة التواصل الثقافي هذه السنة ، مع إضافات جديدة لشهادة الأمس في قاعة المعهد الإسباني بطنجة :

— ... « مؤسسة شراع ، بادرة شجاعة في تحريك وتنغيع الحوار والتواصل الثقافي والإعلامي على المستوى الجهوي

والوطني .. إن مثل هذه التجربة الرائدة ، تجسد مجموعة من الأفكار التي أعمل بها ، في مقدمتها فكرة الاعتماد على النفس مع التشجيع بروح الابتكار والمبادرة .. وكسالة شراع مشروع إعلامي طموح لا دعم له سوى تطوع المشاركين المتعاطفين .. إنه مشروع جميع الإعلاميين والمثقفين والقراء ، يجب أن نلتف حوله ونسانده ونشجعه » ..

ورداً على هذه الشاعر الصادقة ، لا نملك إلا طمأنة أستاذنا الجليل المهدي المنجرة وكل الأصدقاء الأوفياء ، على أن « شراع المعرفة » في المغرب ، سيواصل رحلاته الشهيرة بعزيمة وصبر ، رغم أن الرياح تجري أحيانا بما لا تشتهي الأشرعة ..

— ... ورغم قلة الزاد والعتاد ..

***خالد مشبال**

عبد الكريم الخطابي

(حرب الريف والرأي العام العالمي)

بقلم

الطيب بوتبقالت



لوحة الغلاف :
أحمد بن يسف

كتاب الشهر 14 سلسلة شراع

« معركة أنوال بمثابة البوابة الكبيرة التي فتحتها أبناء الريف
للدخول إلى التاريخ العالمي . »

السياق التاريخي لثورة الريف

من الإشارة في البداية إلى أن هذه ليست هي
المرّة الأولى التي تجند فيها أبناء الريف
للدفاع عن حوزة البلاد، وكرامة المواطن المغربي . فقد كانوا
بالمرصاد للأطماع الإستعمارية بالمنطقة الشمالية المغربية،
منذ انحطاط الدولة المغربية وضعف مكانتها السياسية
والعسكرية ، وبالضبط بعد القضاء على النفوذ المغربي
نهائيا في الأندلس سنة 1492 ، وهي الفترة التي تلاها
- مباشرة تقريبا - احتلال مدينة مليلية من طرف الإسبان ،



وكان ذلك عام 1497 . كما أنها الفترة التي شهدت تعبئة
تدريبية للرأي العام الإسباني في إطار سياسة انتقامية
مفعمة بروح التوسع الإستعماري، الذي تعززته الإيديولوجية
الصليبية، وتدعمه رغبة الاستكشافات لمناطق جديدة من
العالم ، قصد بسط السيطرة على سكانها ونهب خيراتها ،
وكان البرتغال المنافس الرئيسي لإسبانيا في هذا المجال ،
وقد ضاعت منه مدينة سبتة التي انتزعها الإسبان
عام 1580 .

وتحت تأثير عوامل شتى متداخلة ، تبلور فكر غربي
نهضوي مادي جديد ، اشتدت معه صلابه عود
الإستعمار الأوروبي إلى أن أصبح ينادي بتصدير النمط
الحضاري والفكري الأوروبي، عن طريق التوغل الإستعماري
المباشر في مختلف مناطق العالم ، معتبرا توسعه هذا رسالة
حضارية ملقاة على عاتقه ، يجب أن تخضع لها شعوب
سُميت بـ « البدائية » . وقد أدى تضارب المصالح بين
الأطراف المعنية إلى تصعيد التكاليف الإستعماري إبتداءً من
النصف الثاني من القرن الماضي ، وكانت الأنظار دائما
متجهة للمغرب وتحديدًا للمنطقة الشمالية منه نظرا لقربها
من أوروبا من جهة ، وموقعها الإستراتيجي المتميز من جهة

ثانية . وفي هذه المنطقة بالذات ، جرت بين المفاربة والإسبان عدة مجابهات مسلحة ، لعل أبرزها تلك التي كانت المنطقة مسرحا لها في أعوام 1859/60 و 1894 و 1909 و 1912 . ويستفاد من ذلك أن الإنتفاضة الريفية ضد المستعمر، تميزت ببعدها التاريخي واستمراريتها النضالية . وفي هذا السياق تأتي معركة أنوال سنة 1921 التي لم تكن سوى حلقة من حلقات سلسلة متصلة من الجهاد ، ذلك الجهاد الذي أصبح عنصر هوية ، وليس مجرد إفراز غريزي أو تعبيرا عن روح قتالية قمليلها ظرفية معينة. إلا أنها مع ذلك حلقة سجلت فمطا جديدا وطفرة نوعية من الكفاح ، أدت إلى بلورة أسلوب متطور من الفكر السياسي والإستراتيجي، أصبح فيما بعد مرجعا معتمدا لدى جميع الحركات التحريرية في العالم . ومما لا شك فيه أن الفضل في هذا التوجه الجديد الذي عرفته المقاومة الريفية ، يعود أساسا إلى الشخصية القوية والمنتزعة لمحمد بن عبد الكريم الخطابي الذي رفض كل مساومة ، وترك جانبا كل الإعتبارات والحسابات التي لا تخدم هدف الإستقلال الشامل ، والحفاظ على الكرامة . كانت معركة أنوال بمثابة البوابة الكبيرة التي فتحتها أبناء الريف ، معلنين بذلك

دخولهم الإنتصاري إلى التاريخ العالمي . إذ أن عمق هذه المعركة لا يقل أهمية ولا وزنا بالمقارنة مع معارك مشهورة عالميا ، كمعركة وادي المخازن والزلاقة والقادسية وواترلو وفردان .. كما أن حرب الريف عامة ، وبالنظر إلى الفترة التاريخية التي دارت فيها ، لا تقل بعدا ولا أهمية من حروب عرفها العالم فيما بعد كالحرب الكورية والحرب الفيتنامية والحرب الخليجية . ولا أدل على ذلك من كون أنظار الرأي العام العالمي أصبحت إنطلاقا من سنة 1921 بالذات ، تتحول تدريجيا إلى منطقة الريف بالمغرب لمعرفة سر هذه القفزة النوعية التي سجلها المجاهدون هناك ، ولرصد عوامل وحظوظ نجاح الثورة الريفية واحتمالات انتشارها ، خاصة بعد قرار القادة الريفيين بإعلان جمهورية الريف وتوجيه وثيقة بهذا الصدد إلى دول العالم مؤرخة بأجدير يوم فاتح يوليو 1923 . وبغض النظر عن المدلول السياسي المطلق أو النسبي لجمهورية الريف المعلن عنها ، فالذي أثار اهتمام الرأي العام الدولي هو كيف استطاعت حفنة من المقاومين المغاربة ، التصدي إلى دولة أوروبية مثل إسبانيا ، وتكبيدها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات ، بل أكثر من ذلك لقد أصبحوا يهددون الوجود

الفرنسي في إفريقيا الشمالية قاطبة . وما زاد الطين بلة ،
مناهضة الجمهورية الريفية علانية للإستعمار في كل مكان ،
ومناداتها لفائدة تحرير الشعوب ، هذا في الوقت الذي
كانت فيه فرنسا قوة عالمية عظمى ، تحتل الصدارة ، ولها
جيش عظيم ، وأسلحة فتاكة متطورة ، إضافة إلى
إحساسها بقوة الإنتصار في الحرب العالمية الأولى التي
كانت تسمى آنذاك بالحرب الكبرى . إنها حقاً وثبة جريئة
جعلت حتى أعداء المقاومة الريفية يكتفون لها بالإعجاب
والإحترام ولو خفية .

● موقف الرأي العام العالمي من حرب الريف :

في هذا الإطار ، هنالك اتجاهان أساسيان واضعان ، يمكن
تحديدتهما إجمالاً بين مؤيد ومعارض للحركة الريفية . وكل
من الاتجاهين يبني مواقفه على منطق إيديولوجي معين .
فالتيار المعارض هو بطبيعة الحال ، التيار الكولونيالي
المتشبع بالفكر الإستعماري الذي له مصالح هائلة ومشاريع
لها علاقة بالمستعمرات ، حيث كان من الطبيعي أن يقف
مدافعاً ومؤيداً لكل السياسات التي كانت ترمي إلى تقوية
النفوذ الإستعماري وخدمة أطماعه ، ولكن بأقل
التضحيات . وكان هذا التيار يتكون من اليمين الأوروبي

بمفهومه الواسع ، ومن النخبة الأرستقراطية بصفة خاصة .
وقد انضافت إليه ، ومن تلقاء نفسها ، أصوات يهودية
كانت تعتبر نجاح الثورة الريفية بمثابة القضاء الأكيد على
تواجد الجاليات اليهودية بالشمال الإفريقي . كما أن
انتصار الثورة الريفية ، تعزيز واضح للنفوذ الإسلامي في
أرجاء العالم ، وتهديد للحضارة على حد قولها ، وهو نفس
الشعور الذي عبرت عنه قطاعات نشيطة من الرأي العام في
جنوب إفريقيا . وبداخل نفس التيار هناك مواقف متباينة
للرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية ، البعض منها
لم يخف نوعا من التعاطف مع الريفين ، لكن الأغلبية
الساحقة كانت بجانب المستعمر الأوروبي . وتجدر الإشارة
هنا إلى مشاركة مجموعة من الطيارين المتطوعين
الأمريكيين إلى جانب القوات الجوية الفرنسية التي ألقت
بأطنان من القنابل ، بما فيها قنابل الغازات السامة ، على
قرى قبائل الريف المقاتلة ، وذلك خلال صيف 1925
وربيع 1926.

- أما التيار الثاني ، فقد كان يشكله أساسا الرأي العام
الشيوعي . وقد كان للحزب الشيوعي الفرنسي موقف بارز
ولم تمض إلا بضع سنوات على تأسيسه ، ودخوله حلبة

الصراع السياسي الفرنسي . وكان المد الشيوعي يعرف انتشارا متزايدا في ظل الماركسية اللينينية التي بلغت أوجها مع بداية العشرينات على مستوى الكم التنظيري والممارسة الثورية . وتجدر الإشارة إلى أن الأهمية الشيوعية التي تكونت مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى ، كانت تضع مقاومة الإستعمار و الإمبريالية ، كشرط أساسي للانضمام إليها من قبل الأحزاب الشيوعية الناشئة . أما الحزب الشيوعي الإسباني فقد كان محظورا ، ونفوذه محدودا .

وبصفة عامة كان اليسار الأوروبي ، موقف يتسم بنوع من المؤازرة والدعاية لفائدة المقاومة الريفية ، وهو دعم اختفى مباشرة بعد استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي يوم 26 ماي 1926 للقوات الفرنسية .

هناك كذلك موقف متميز ظهر به الرأي العام في دول أمريكا اللاتينية ، حيث كان عبد الكريم - هكذا يسمى بطل الريف في الوثائق التاريخية الغربية - يقارن بسيمون بوليفار أحد رواد الحركة التحريرية هناك . أما الرأي العام الإسلامي ، فقد كان يعلق آمالا كثيرة على نجاح الثورة الريفية ، وعبر عن استنكاره في أكثر من مناسبة تضامنا مع المسلمين في الريف ، لكنه كان مغلوبا على أمره ،

سيما وأن البلاد الإسلامية في معظمها ، كانت ترزح تحت نير الاستعمار الغربي .

كانت إذن أخبار جبهة القتال في الريف تتناقلها وسائل الإعلام الدولية بكثير من الحماس الإنفعالي ، والتضارب في تحليل محتوى الحركة الريفية ، ومراميها الجهادية الحقيقية . ولعلها أول مرة يشار فيها إلى بلد اسمه «المغرب» عبر مختلف أنحاء العالم بشكل لم يسبق له مثيل ، وإذا كان من الصعب التقييم الدقيق للآثار المترتبة عن ردود الفعل التي واكبت كل مراحل تطور الحرب الريفية ، والإنعكاسات والتداعيات الناجمة عن ذلك ، فإن من بين نتائجها البارزة ، تلك التي تجلت في تحسيس الرأي العام العالمي بوجود شعب مغربي يناضل بروحه ودمه من أجل الحرية والإنعتاق.

إن مجرد هذا الإنجاز الإعلامي الضخم يعد في حد ذاته انتصارا عظيما سجله أبناء الريف ، ليس لصالح المغرب فحسب ، بل لفائدة كل الشعوب التي كانت تعاني من ويلات الاستعمار، وتطمح إلى التحرر من ريقته . يكفي الريفيين فخرا أنهم سقوا بدمائهم الطاهرة ، قيما إنسانية راقية جدا ، لعل حق الشعوب في تقرير

مصيورها ومسألة تصفية الإستعمار، من ثمار مظاهرها
الحديثة . ●

« لا أحد يعلم ما يجري في المغرب »

مواقف الصحافة الإسبانية

تبنت مجمل الصحف الإسبانية الأطروحات الكولونيالية التي كانت تسهب في شرحها ، وتساهم في تطوير مفاهيمها ، لكن مع ذلك كانت المقاومة البطولية الريفية تفرض عليها نوعا من الواقعية وتدفعها إلى مراجعة مواقفها ، تحسبا منها لهزيمة عسكرية إسبانية وشيكة على يد قبائل الشمال المعرّية المقاتلة . وعموما تنقسم اتجاهات الصحافة الإسبانية بالنسبة لأحداث الريف إلى اتجاهين رئيسيين . الاتجاه الأول يعكس قلق الرأي العام

الشديد وعدم رضاه لما سببته عمليات « التهدة » في زهق
أرواح آلاف الإسبانين وإثقال عبء ميزانية الدولة . وكانت
الصحافة ذات الميول الاشتراكية هي التي تجسد هذا
الاتجاه ، لكنها في نفس الوقت كانت تعبر عنه بنوع من
الغموض والإنتهازية . وهو الموقف الذي بدا واضحا من
خلال تعاليق وتحليلات صحيفة " إسبانيا نوبيا " . وأما
الاتجاه الثاني: فقد كان يندرج في إطار الدعاية
الإستعمارية التقليدية المدعومة من طرف أوساط
رجال الأعمال ، والضباط السامين في الجيش الإسباني .
وكانت تغذيه فكرة « عظمة » إسبانيا التي يجب أن
تتجلى ميدانيا في مشروع التوسع الكولونيالي .
ومن أهم صحف هذا الاتجاه كورسبون دانسيادي
إسبانيا التي تشبه إلى حد بعيد من حيث ترويجها
للدعاية الإستعمارية الصحيفة الفرنسية اليمينية
" لأكسيون فرانسيز " .

بظهور التنظيم السياسي - العسكري الريفي سنة
1921 ، تحت قيادة عبد الكريم ، تعززت أطروحات
الصحف الإسبانية التي كانت تنادي بالإنسحاب من
المغرب . وهي ترى أن الصعوبات الجمة التي كانت

الجيش الإسباني تواجهها في الريف دليل قوي اخر ، يدعم وجهات نظرها بهذا الصدد . بينما عدل فللا من مواقفها المناهضة للإعلامية التي كانت تنطق باسم التيار الكولونيالي ، وتتبنى سياسته التوسعية بدون قيد ولا شرط ، لكن هذا التعديل كان في لهجة المقالات أكثر منه في الإعتقاد الراسخ في ضرورة تدعيم المد الإستعماري ، وهكذا كتبت صحيفة " أ.بي.سي " يوم 29 يوليو 1921 ، مقالا مطولا تحت عنوان « قانون ميناء طنجة » معلقة فيه على الصعوبات التي يلاقيها الإسبان في إحكام سيطرتهم على المغاربة في المنطقة الشمالية ، ومن ثم بدأت تشكك في مستقبل المشروع الإستعماري الإسباني بالمغرب ، وتشير انتباه الدول الأوربية المعنية إلى أن « المسألة المغربية » غدت من جديد تهدد بالإنفجار : « إن الإمبراطورية المغربية دولة وهمية ، صنعتها الدبلوماسية الأوربية ، لتفادي المجابهات بين الأوربيين ، وهذا هو السبب في تقسيمها إلى ثلاث مناطق ، بناء على اتفاقية 1904 ، المبرمة بين إنجلترا وفرنسا وإسبانيا والإتفاقيات التي تلتها ، المنطقتان الفرنسية والإسبانية تخضعان للنظام وتعرفان تطورا إيجابيا . وأما منطقة طنجة ،

فإنها تتخبط في الركود الإقتصادي ، إنه وضع غير مريح وحافل بالمخاطر ، إن طنجة بركان كامن ، ومادامت مشكلة طنجة لم تجد حلا ، فإن ما اتفق بشأنه سنة 1904 ، لم ينجز بآثمه ، وعليه فإن المغرب مازال يشكل مسألة بكل تشعباتها ، ولهذا فإن الأحداث التي تعرفها طنجة تترك أصداء عالمية .

أوصت هذه الصحيفة ، بعدم التلويح بشبح « المازق المغربي » أكثر من اللازم ، ووجهت دعوة غير مباشرة لفرنسا ، قصد إيجاد صيغة مقبولة لقانون طنجة المرتقب وذلك في إطار حبي وشريطة الإعتراف بالحقوق الإسبانية التي نعتتها بغير قابلة للتقادم .

بعد أسبوعين على نشر هذا المقال ، دعت صحيفة 'الامبارسيال' إلى نهج سياسة توافق وتقارب مع فرنسا في المغرب وحشت قراءها على أن « الحديث عن الحماية مع أناس يعيشون في بلاد السبية ، لا يجدي نفعا ؛ ليس هناك سوى سياسة واحدة لا غير ، إنها سياسة القوة » ، وترى الصحيفة في التجربة الكولونيالية الفرنسية ما فيه الكفاية من الوضوح لجعل المعمرين الإسبان يستعيدون الثقة في نفوسهم ويكتفون ، عند الإقتضاء ،

بتواجدهم في الجيوب المحتلة ، وفي مليلية على الخصوص: « إذا ما انتهزت جبهة الأطلس الفرنسي ، فإن نظام الحماية من الرباط إلى وجدة سينهار هو الآخر، سياسة القوة وحدها هي الممكنة في مليلية ؛ تحت غطاءها سنفرض سلطة الخليفة . ولا يجب محاولة التعلق بالسلطة الدينية لمولاي المهدي ، لأن النفوذ الديني الوحيد في الريف هو النفوذ الذي يمارسه شريف وزان ، وهذا الأخير محمي فرنسي . إذن ، لا يوجد بالنسبة إلينا أي مشكل سياسي نبحث عن حل له ، المنطق السليم ينصحنا بتوفير العتاد الحربي في مليلية ». كان من السهل ملاحظة ميل الصحيفة إلى خيار التنازل الإسباني عن المنطقة الشمالية المغربية لصالح فرنسا ، والإكتفاء بالجيوب المغربية المحتلة قبل إعلان الحماية. لكنه خيار الملاذ الأخير. والواقع أن الرأي العام في إسبانيا ، لم يكن يعلم بعد أن الجيش الكولونيالي الإسباني ، كان يواجه في المنطقة الشمالية المغربية مقاومة محكمة التنظيم ، لذلك نشرت نفس الصحيفة بتاريخ 15 غشت 1921 مقالا استهلته بهذا السؤال: « هل من الأفضل الاعتراف بالحقيقة أو إخفاؤها؟ إننا نعتقد ، أن المنطق يفرض علينا البديل

الأول ، لأن قواتنا لا تجهل ماذا يعني إنهيار الجبهة . ثم إنه من المفيد أن تعلم البلاد الحقيقة ، حتى لا تباغت بحجم الجهود المطلوبة منها . إن إنكارنا في إعلامنا لأي قيمة تميز فرق قتالية منضبطة ومزودة بكل شيء ، لن يؤدي إلى انتصارنا عليها . هذا لن يحدث إلا بفضل تفوق قواتنا ، وبفضل قيادة عسكرية في المستوى » . إن قول « الحقيقة » كان يعني قبل كل شيء ، تأجيج نار الحرب الكولونيالية في المغرب ، وليس القيام بتغطية إخبارية شاملة تشرح للرأي العام الإسباني الأسباب الحقيقية للإخفاقات العسكرية المتتالية في الريف ؛ وهكذا بررت الصحفية موقفها : « يجب قول الحقيقة متى كانت الظروف تسمح بذلك . إن الجمهور سوف لن ينبهر لكثرة المدافع الريفية ، ولكنه يطالبنا بالقيام بحرب علمية مع تفوق ساحق في الأسلحة » .

ونشرت جريدة " أ.بي.سي " يوم 29 شتنبر 1921 ، مقالا من توقيع أنطونيو بوغيس تحت عنوان : « لا أحد يعلم ماذا يجري في المغرب » . صاحب المقال يرى أن هناك اتجاهين يميزان التيار الكولونيالي الإسباني : الاتجاه المتشدد المتكون من « أنصار الحرب بدون هوادة ، مع

إبادة كل الأهالي » واتجاه آخر يحدد إتباع الإستراتيجيه الليوطية (نسبة إلى ليوطي) المبنية على الحرب ، طبعاً ، ولكنها مع ذلك تنتهج سياسة «الإجتذاب والتوغل الهادئ». وخلص صاحب المقال ، إلى أن حصيلة السياسة الإستعمارية الإسبانية في المغرب ، كانت سلبية ، وهو بذلك ينضم إلى الإتجاه الثاني ، منوها بسياسة الحماية الفرنسية: « لم نكن قطعاً أوفياء لا لسياسة الإجتذاب ولا لنظام حرب الإبادة... ألا يحسن بنا الإقرار أننا لم تنتهج سياسة واضحة في المغرب؟ (...) إن الجانب التقني قد تحسن منذ 1909 ؛ إننا نعرف تماماً الميدان ، والموارد ، وقوة المقاومة النسبية لهذه القبيلة أو تلك ... ولكن لم نقطع ولو خطوة واحدة في معرفة نفسية الريفي ، ولا في العصبية العرقية لأعدائنا ، ولهذا كان الإحترابيون الكسلاء يخطئون دائماً في حساباتهم ».

كانت تحليلات هذا الإتجاه الأخير، تدفع دائماً إلى التقارب و الإعتماد المتبادل بين إسبانيا وفرنسا من أجل سياسة كولونيالية تخدم مصالح البلدين في المغرب ، وكانت سياسة ليوطي الإستعمارية تبدو ناجحة وتحظى بإعجاب الإسبانيين ، وفي نهاية 1924 ، صرح ملك

اسبانيا لمراسل " ساندي تايمز " بأنه سيبدأ قريباً في
المغرب ممارسة سياسة جديدة مبنية على « التوغل
الهادئ » وأكد لمراسل الجريدة مايلي : « لقد تعلمنا
الكثير من أخطائنا السابقة ونحن اليوم قادرون على
فرض السلام المرغوب فيه . » ●

د ليس من المنصف أن يعاملنا الفرنسيون بأوراق بقدونس ،
لنهيء شربتهم بعدما أخذوا خبزنا .. !»

التعاون الفرنسي الإسباني في الريف

تحدثت صحيفة "أ. بي. سي" يوم 3 ماي 1925،
عن المقاومة الريفية كخطر مشترك يهدد
القوتين الإستعمارتين بالمغرب ، دون أن تكشف النقاب
عن إبرام إتفاقية عسكرية فرنسية - إسبانية ، تهم الشمال
المغربي . وتحت عنوان : « هجوم عبد الكريم على
المنطقة الفرنسية » ، تبنت الصحيفة الموقف الرسمي
الفرنسي من الحركة الريفية . ولاحظت أن الهجوم الريفي
سبقتة دعاية ريفية نشيطة في كل أسواق المنطقة . وهكذا

وصفت عمليات المقاومة الريفية: « يستعمل الريفيون في هجوماتهم على المنطقة الفرنسية نفس الخطة التي إستعملوها في منطقتنا: يحاصرون المواقع العسكرية ، دون الهجوم عليها هجوما جديا ، ويكتفون بتشديد الحصار عليها ، لكي يجبروا أرتالا كبيرة على التحرك في اتجاه المواقع المحاصرة ، عند ذلك يتصدون لهذه الأرتال ، التي تجد نفسها مرغمة على مقاتلتهم في ظروف صعبة . ويبنون خنادقهم حسب الوضع الذي يلائم جغرافية المكان مما يمكنهم من ضمان انسحابهم في حالة فشل ». وفي مقال عنوانه : « فرنسا وإسبانيا في المغرب » ، علق مادحا مانويل بوين في نفس الصحيفة يوم 6 ماي 1925 ، على مقال نشرته قبل ذلك الصحيفة الفرنسية " لانترازيجون " ، ومفاده أن التعاون بين إسبانيا وفرنسا في المغرب ، أمر يفرض نفسه . وفي نفس اليوم ادعت جريدة " السول " ، أن « الهجوم الريفي على المنطقة الفرنسية » ، كان بدافع اقتصادي ، لكنها أضافت : « لا يجب أن نعزو كل شيء إلى دوافع إقتصادية ، لأن في الحركة الريفية عنصرا إسلاميا عام ، وشعورا وطنيا ، يصعب علينا تقييمهما على وجه التحديد ، لعدم وضوحهما وقلة دقتهما » .

حدث ما يشبه التأثير المتبادل الناقص ، بين الصحافة الإستعمارية الإسبانية ونظيرتها الفرنسية . كان التعاون بين جيشي البلدين يفسح المجال أمام الصحف الكبرى الكولونiale في فرنسا وإسبانيا ، لعرض نفس وجهات النظر دفاعاً عن نفس المواقف، بحيث أننا نجد الصحيفة الإسبانية " ديباتي " تقتدي في تحليلاتها بما ورد في الصحيفة الفرنسية " ليلستراسيون " أما " أ. بي. سي " . و" ليبرال " فكانتا تركزان على ما جاء في جريدة " لوتان " . بينما لم تكن الصحافة الفرنسية تعتمد على الصحافة الإسبانية إلا نادراً . وهذا شيء يبدو منطقياً ومنسجماً مع ميزان القوى الكولونiale . لأن تفوق القوات الفرنسية على القوات الإسبانية في مواجهة الريفيين هو الذي أصبح يولي على الصحافة الإسبانية خطوط الإستراتيجية الجديدة ، ويجعلها تردد وتبارك كل ما تنشره منابر الدعاية الكولونiale التابعة لفرنسا . وقد كان للسفير الفرنسي بمدريد ، دوبرتي دولاروكا ، دور فعال في تكريس هذا الوضع . فهو الذي طور علاقاته مع كبريات الصحف الإسبانية منذ بداية الهجوم المزدوج الفرنسي - الإسباني على الريف ، بتقديمه كل التسهيلات لمراسليها في

المنطقة الفرنسية . كما أنه كان وراء الحملة التي خصصت خلالها الصحافة الإسبانية ، مقالات كثيرة إيجابية تهم مناقشات الشؤون المغربية في البرلمان الفرنسي ، وكمثال على ذلك كتبت جريدة " إيبوكا " يوم فاتح يونيو 1925 ، تعليقا إخباريا ، تنوه فيه بالاستعمار الفرنسي في إفريقيا عامة ، وفي المغرب خاصة: « إنها فرنسا بأسرها التي تبدي اهتماما بالغاً بالعمل الجبار الذي أنجزه المارشال ليوطي في المغرب ، وبصفة عامة لكل الإمبراطورية الفرنسية الشمال - إفريقية ، لدرجة أن كل اعتداء على هذه الإمبراطورية ، يخلف أثرا عميقا فيما وراء البرانس » . وهو نفس الشعور الذي عبرت عنه جريدة " الموندو " يوم 2 يونيو 1925 ، وتبعتها في ذلك جريدة " ليبرال " التي ابتهجت لرؤية فرنسا ، بعد مصادقة برلمانها ، تتأهب لتسخير آلتها العسكرية لصراع « سلطة وكبرياء القبائل المتمردة » . وأعلنت صحيفة " إيمبارسيال " يوم 4 يونيو 1925 ، أن الوقت الحاسم قد حان وأن زمن الأزمات بين فرنسا وإسبانيا بشأن المغرب قد ولى . ونشر " ريمون بوانكاري " ، رجل السياسة الفرنسي المعروف ، مقالا في جريدة " لافانكوارديا " الصادرة في

برشلونة ، تحدث فيه عن « السلام مع عبد الكريم » ، وكان عنوانه : « ما زالت الدودة بداخل الفاكهة تفعل فعلها » . وقد اعتمد بوانكاري في كتابة مقالته على دراسة أجراها ميشوويليسر ، رئيس قسم « الدراسات الاجتماعية » ، التابع للإقامة العامة بالرباط ، والمتخصص في شؤون الأهالي . واختتم مقاله كالتالي : « نستفيد من دراسة التاريخ لقرون عديدة ، أن الريف لا يمثل دولة منفصلة عن المغرب ، ولا حتى إقليما مستقلا ، كما أن الريفيين لم يسبق لهم أن كونوا شعبا مدركا لوحده السياسية ، إنهم مجرد قبائل غير متجانسة وخارجة عن طاعة السلطان . (...) لنعمل على رد النظام إلى نصابه ، لا يجب علينا أن نوقع سلاما ، من شأنه أن يمكن الدودة التي بداخل الثمرة أن تأتي عليها » .

هذا التواطؤ بين الصحف الفرنسية والإسبانية ، الذي تجلى في تغطيتها للعمليات العسكرية في الريف ، كان يعرف في بعض الأحيان نوعا من الإرتجاج ؛ ومرد ذلك إلى كون الصحافة الفرنسية تتمتع بحرية أوسع بالمقارنة مع الصحافة الإسبانية التي كانت تعاني من رقابة شديدة وهشاشة نسبية ، ناهيك عن ميزان القوى الذي أشرت إليه

سابقا ، وهكذا هاجمت الصحيفة الإسبانية " ديباتي " لأول مرة مع بداية شتبر 1925 ، الصحيفة الفرنسية " لوماتان " في مقال عنوانته : « شؤون مغربية » ، جاء فيه : « ليس من المنصف أن يعاملنا الفرنسيون كأوراق بقدونس ، لتهيبىء شريتهم بعدما أخذوا خبزنا » . وخصصت " أ. بي . سي " . مقالا جاء على صيغة بلاغ رسمي اتسمت لهجته بالسخط ، وكان حول ما أسمته الصحيفة بـ « الأخبار الكاذبة » ، ردت فيه ليس فقط على الصحافة الإنجليزية ، بل كذلك على بعض الصحف الفرنسية : « إنتفاضات شعبية ، عصيان وتمرد في الجيش ، إنهزامات إسبانية في المغرب ، انتصارات باهرة حاسمة حققها عبد الكريم ضد قواتنا ، كل هذه الأخبار جمعها ونشرها أناس يعيشون يوميا إلى جانبنا . (...) نتمنى أن تكون حرية إصدار الأحكام فيما يتعلق بشؤوننا الخاصة ، وبكل هذا الحماس ، من الآن فصاعدا في حدود التحفظ الذي تدفعنا إليه رعاية مصالحنا العامة وسمعة بلدنا . »

كانت الدبلوماسية الفرنسية ، تتحرك في كل مرة يشهد فيها الرأي العام الإسباني نوعا من الارتعاش ، ويسجل فيها عدم رضاه عن سير العمليات العسكرية المشتركة في

الريف ، والتعاون الفرنسي الإسباني بشكل عام . وقد وضع « صندوق خاص » رهن إشارة السفارة الفرنسية بمدريد ، قصد تطوير وتدعيم الدعاية الفرنسية بإسبانيا . وبعد المعارك الطاحنة التي دارت في صيف 1925 والخسائر الفادحة التي تكبدتها القوات الإسبانية على يد الريفيين ، ظهرت تناقضات واضحة في تحليلات الصحف الاسبانية ، وحتى على مستوى الرقابة هناك تعليمات صارمة صادرة عن الجنرال جوردانا ، وأوامر تتسم بالمرونة أعطاها الجنرال بريمو دي ريبيرا وكأن هذا الأخير يهيئ الرأي العام الإسباني لقبول فكرة انسحاب عام محتمل من المغرب وتطبيقها على أرض الواقع فيما بعد . ولما لاحظت السفارة الفرنسية بمدريد هذه التقلبات والترددات التي ميزت تحليلات الصحافة الإسبانية ، وكان شتاء 1925 وشيكا ، بعثت بتقرير في الموضوع الى وزير الشؤون الخارجية بباريس . ومن ضمن ما جاء في التقرير : « في هذه الحالة ، واعتبارا للعلاقات التي وطدتها السفارة مع الصحافة ، والوسائل التي زودتم بها ، معاليكم ، هذه السفارة والتي سمحت لها بتجديد الإعتمادات المفتوحة لمدة ثلاث أشهر ، فإنه أصبح بإمكاننا القيام بنشر الأفكار التي نود ترجيحها عبر مجموعة من

الصحف . ولنا الآن أصدقاء مستعدون للإمتثال لتوجيهاتنا بدون أن تؤدي كتاباتهم الى إيقاظ الحساسيات . فإذا كانت الآراء متذبذبة في إسبانيا ، فإن أحداث المغرب التي لم تتضح بعد نتائجها ، ربما تجعلنا نحن كذلك أمام صعوبة الاختيار الحاسم لخط سياسي معين . لكن مع بداية 1926 ، عاد التفاؤل الى صفحات الجرائد الإسبانية . وكان الحفاظ على خطة التعاون العسكري الفرنسي - الإسباني ، هو السر في عودة هذا التفاؤل . عندئذ تسابقت الصحف الى التبشير بانتصار قريب للجيش الكولونيالي في الريف . وتحت عنوان : « فرنسا وإسبانيا في المغرب : قبل النصر النهائي » ، نشرت " كوريسبوندانسيا ميلتار " يوم 29 مارس 1926 ، قبل محادثات وجدة بأسبوعين ، مقالا تطالب فيه الريفيين بتقديم مقترحات للسلام ، وتعلن فيه لجمهورها أن فرنسا وإسبانيا تتحركان في المغرب ، بموجب إتفاق تام بينهما . وقبل أسبوع على لقاء وجدة ، عبرت الحكومة الإسبانية عن ارتياحها الكامل للطريقة التي عالجتها بها الصحافة أحداث المغرب . ونشرت صحف مدريد يوم 10 أبريل 1926 ، بلاغا صادرا عن مجلس الرئاسة بتاريخ 9 أبريل ، تقول إحدى فقراته : « إن الحكومة تجدد للمصحافة

امتنانها للطريقة اللبقة والروح الوطنية التي ميزت معالجتها للقضية المغربية ، وهو الشيء الذي ساهم في تعزيز سلطة الحكومة ، وتحفيز الرأي العام . « وحث البلاغ الصحافة على التزام التحفظ والانضباط : « الإعلان عن التواريخ والأماكن والأسماء ، وشرح الأهمية والخطة المتبعة وتقسيمها أو إبداء الرأي بصدد المباحثات والعمليات المحتملة ، هو شيء غير مفيد ؛ قد يشير الفضول فقط أو يسبب في تعاليق ، يتجاهلها مسرورا الجمهور الناضج الذي يتوق الى تحقيق نتائج مرضية . وهذا هو المهم » . وفعلًا كانت الصحافة الإسبانية في أغلبيتها الساحقة لبنة العريكة، وتعاملت مع حرب الريف وفقا لما كانت قلبه عليها القيادة الكولونيالية من مواقف واتجاهات . ويضيف بلاغ الحكومة الإسبانية في هذا المضمار: « إن الحكومة تعتقد بكل إنصاف أنها تستحق نيل ثقة الرأي العام ، في معالجتها للقضية المغربية التي كانت دائما تشغل بالها ، والتي تعتبرها الآن دخلت في مرحلة أكثر إيجابية من أي وقت مضى . إن هدف الحكومة الوحيد هو جني ثمار المجهودات العسكرية المبذولة ، والتضحيات التي قدمها المواطنون ، من أجل إهدائها للبلاد كخدمة جديدة تم القيام بها » .

لزمت الصحافة الإسبانية الصمت بشأن الموضوعات التي
أثارها البلاغ الحكومي ، وحصل إجماع في الأوساط
الإعلامية على الإلتزام بالتعليمات الرسمية . وكان الكل
ينتظر بفارغ الصبر الإعلان عن هزيمة الريفيين . ●

« فقط الخونة والجبناء ، هم الذين يهملون الدفاع عن حق
الشعوب المضطهدة في تقرير مصيرها . »

الحزب الشيوعي الفرنسي وحرب الريف

مطلع العشرينيات من هذا القرن ، كانت
فرنسا إمبراطورية كولونiale مترامية
الأطراف . وكنتيجة لتجربتها الإستعمارية الواسعة ، تولدت
لديها قناعة جعلتها تعتقد أنها أصبحت في مأمن من كل
تغيير راديكالي ومفاجئ لمجرى الأحداث ، يجعلها تفقد زمام
الأمور . وفعلًا كان إحساسها شبه راسخ بعدم قدرة أي
مقاومة ذات طابع محلي على إحداث زعزعة جذرية للأسس
التي بنت عليها إمبراطوريتها الكولونiale . كما أدى



الترويج الصاخب والتكرار المتواصل لفكرة « رسالة فرنسا الحضارية » إلى نوع من التنويم المغناطيسي للرأي العام الفرنسي ، الذي نجحت طروحات الدعاية الرسمية في دفن يقظته . و هي طروحات تدافع عن مشروعية الحملات العسكرية وجدوى العمل الكولونيالي على المدى البعيد والمتوسط ، في نفس الوقت الذي كانت تقلل فيه من حدة الصعوبات التي كان الفرنسيون يواجهونها في مستعمراتهم . وكان الخطاب الدعائي الإستعماري يصف هذه الصعوبات بالعابرة ، ويؤكد على أنه لا بد من حد أدنى من التضحيات لتحقيق ما حققته ، وما تطمح لتحقيقه ، فرنسا في ظل سياسة توسعها الكولونيالي .

وإذا كان الرأي العام في إسبانيا يتابع بقلق شديد تطورات حرب الريف منذ سنين، وخصوصا منذ معركة أنوال ، فإن الشارع الفرنسي يكاد يجهل تماما كل شيء عن الحركة الريفية حتى مستهل عام 1925 . وسرعان ما تبين له أن المقاومة الريفية ليست كما دأبت الدعاية الإستعمارية على وصفه مجرد « بارود شرف » اعتادت القبائل المحاصرة على القيام به قبل استسلامها للأمر الواقع . ويرجع الفضل الكبير في تحريك الرأي العام الفرنسي إلى الدور الحاسم

والفعال الذي لعبه الحزب الشيوعي الفرنسي في مساندته
للثورة الريفية . لقد كانت حملاته قائمة على مناهضة
الإمبريالية العالمية والتنديد القوي والصريح بالإستعمار
الفرنسي كسياسة وممارسة ، وكانت تحركاته ومظاهراته
يطبعها العمل النضالي الملتمزم والحس الثوري الملتهب .

ومن السذاجة بمكان ، الإعتقاد أن موقف الحزب
الشيوعي الفرنسي من الريف كان حبا في الريفيين أو
تقديرا لهم بالدرجة الأولى . لقد كان قبل كل شيء تعبيرا
عن مبدأ إيديولوجي من أجل إثبات الذات السياسية
للحزب . وبعبارة أخرى ، فإن ما كان الريف يعطيه من
فرص سانحة للتعبير عن وجود الحزب وتنمية نفوذه كتنظيم
ظهر حديثا على المسرح السياسي الفرنسي ، أكثر مما كان
يبذله الحزب في الدفاع عن الريفيين . وهكذا وفرت القضية
الريفية الظروف الملائمة لتمكين الحزب من ممارسة العمل
السياسي الملتمزم في إطار تنظيم شيوعي حديث النشأة ،
يبعث عن موقع له داخل حلبة الصراع السياسي بفرنسا .

و من جهة أخرى ، كانت هذه فرصة بالنسبة للشيوعيين
الفرنسيين لكسب تقدير موسكو التي كانت تعتبر القلب
النابض للمد الشيوعي العالمي . ومعلوم ، كما سبقت الإشارة

إلى ذلك ، أنه كان على أي حزب شيوعي ، ينتمي إلى بلد له مستعمرات ، الإلتزام بمقتضيات المادة الثامنة من القانون التأسيسي للألمية الشيوعية ، كشرط أساسي من شروط العضوية ، وهو ما يحتم عليه تعبئة كل قواه ضد الإستعمار والإمبريالية ، ومساندة الشعوب التي تعاني من القمع والإستغلال من جراء زحف جنود الرأسمالية الهمجية وجشع البورجوازية .

أعلنت فرنسا عبر مختلف أبواقها الدعائية أنها ستقوم بتنظيم حملة عسكرية ضد الريفيين . وكتبت صحيفة " ليرنوڤيل " ، لسان حال وفاق اليسار ، يوم 11 يونيو 1925 : « لم يعد الأمر يتعلق بإعادة ما قام به شارل مرتيل في حقول بواتيه ، وإنما هذه المرة في سهول ورغة ، على سفوح مرتفعات الريف » . ويمكن تحديد بداية الحملة الشيوعية الفرنسية ضد حرب الريف في النصف الثاني من سنة 1924 . يبدو أن مندوبي الحزب الشيوعي الفرنسي الذين شاركوا في المؤتمر الخامس للألمية الشيوعية (المنعقد بموسكو من 25 يونيو إلى 3 يوليو 1924) ، قد عبروا رسميا عن إلتزامهم بالقيام بعمل سياسي فعال ضد الإمبريالية الفرنسية بالمغرب . وكان زينوفيف ، رئيس


الأممية الشيوعية، في غاية الوضوح عند تطرقه للمسألة الكولونيالية : « فقط الخونة و الجبناء هم الذين يهملون الدفاع عن حق الشعوب المضطهدة في تقرير مصيرها ، وهو الدفاع الذي يجب أن يستمر حتى يتحقق تحرير هذه الشعوب من قوى الإضطهاد » . و في 12 شتنبر 1924 ، كتبت " ليمانيتيه " ، جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي : « هزم عبد الكريم طرفا واحدا من أطراف الإمبريالية » . وأرسلت قيادة الحزب في نفس اليوم برقية إلى هيرويو ، رئيس الوزراء ، تقول : « يجب الجلاء عن المنطقة الفرنسية وإعطاء المغاربة حريتهم » . كما تم إرسال برقية أخرى إلى عبد الكريم لتهنئته على فوزه النهائي على الإسبان ، ولتشجيعه على مواصلة الكفاح ضد كل أطراف الإمبريالية، بما فيها فرنسا ، إلى أن يتحقق تحرير التراب المغربي . عبرت كذلك البرقية عن إستعداد البروليتاريا الفرنسية والأوربية على مساعدة الزعيم الريفي .

وهكذا ، فكلما إتضحت نية فرنسا في تدخلها عسكري في منطقة الريف ، كلما توطد عزم الحزب الشيوعي على الوقوف ضد هذا المشروع الكولونيالي ، ولما تم الإعلان عن

العمليات العسكرية الفرنسية - الإسبانية المشتركة ، كان الحزب الشيوعي الفرنسي على أتم إستعداد لتعبئة عناصره وتحسيس الرأي العام الفرنسي بخطورة أحداث المغرب ، التي يدفع ثمنها أبناء الطبقة المحرومة من الشعب الفرنسي ، من عمال ومزارعين . وقد بدا واضحا أن الحزب الشيوعي الفرنسي قد أوشك على تحقيق الإنفراد بموقف سياسي في تباين متزايد مع مواقف التيار الاشتراكي من حيث الصرامة في تعامله مع المسألة الكولونiale . ●

« سنغور يدعو الأباء الفرنسيين إلى منع ذهاب أبنائهم للمقاتل
ضد الريفيين المغاربة . »

« مهرجان لونبارك »

في  عدد 2 ماي 1925 ، أعلنت صحيفة " ليمانتيه " لقرائها : « لقد شنت الجيوش الفرنسية غاراتها على عبد الكريم » . وفي 5 ماي ، قدمت الدعاية الرسمية الفرنسية نبأ بداية المجاهبات في المنطقة الشمالية المغربية ، وادعت أنها مجرد عملية عادية من عمليات « التهدئة » ، وفي نفس اليوم ، أفادت وكالة " هافاس " في برقية لها من الرباط ، أن هذه العملية موجهة ضد « المنشقين » وأن الريفيين هم

المعتدون ، فقط صحافة الحزب الشيوعي الفرنسي هي التي إنفكت تماما عن هذه الدعاية الرسمية التي كانت تشكل الخط المحوري لباقي الصحف الفرنسية ، بتفاوت جد نسبي . وانبثق عن إجتماعات سرية عقدتها التنظيمات المركزية التابعة للحزب الشيوعي ، بمقر جريدة " ليمانتيه " وكذلك في مقر الحزب بباريس ، برنامج عام للتصدي لدعاية الإستعمار الفرنسي المتعلقة بالمغرب ، في ثلاث نقط :

- 1 - ضرورة تنظيم لقاءات ومظاهرات ضد العمليات العسكرية في المغرب .
- 2 - تعبئة الشبيبة الشيوعية في باريس وضواحيها ، لتنشيط الدعاية ضد الإستعمار في صفوف الجالية المغاربية العاملة بفرنسا .
- 3 - توجيه نداءات إلى الجنود الفرنسيين للتآخي مع الريفيين .

وكان الحزب قد وجه النداء يوم 13 ماي 1925 قصد شن حملة واسعة النطاق ضد « حرب المغرب » . وهو النداء الذي تأسست على إثره نفس اليوم « لجنة العمل المركزي » ، وقد انضم إلى هذه اللجنة ، إضافة إلى ممثلين عن الحزب ،

ممثلون عن الكونفدرالية العامة للعمل الوندوي ، والفيدرالية الوطنية للشبيبة الشيوعية ، والجمعية الجمهورية لقداماء المحاربين ، وقد أنيطت مهمة تنظيم مهرجان خطابي تعبوي كبير بهذه اللجنة ، وهو المهرجان المعروف في السجل النضالي للحزب بـ « لقاء لونابارك » الذي أقيم يوم 16 ماي 1925 خصيصا لمساندة الريفيين .

● مهرجان لونابارك الخطابي :

أفادت تقديرات وزارة الداخلية أن لقاء لونابارك جمع حوالي 3500 شخص ، أما جريدة " ليمايتيه " ليوم 17 ماي 1925 ، فقد قدرت عدد الذين حضروا هذا اللقاء بما لا يقل عن 15000 شخص . ومهما يكن من أمر ، فإن الإقبال على مهرجان لونابارك كان لا بأس به . والأهم من ذلك هو أن هذه التظاهرة الخطابية كانت إيذانا بالإنطلاقة الفعلية ، والمنظمة على مستوى التأطير ، لحملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضد سياسة وتصرفات الإستعمار الفرنسي في المغرب عامة ، وفي منطقة الريف على وجه الخصوص .

إفتتح المهرجان أشغاله على الساعة التاسعة وعشر دقائق من مساء يوم 16 ماي 1925 ، وكان أول من أخذ الكلمة هو الكاتب العام لنقابات " السين " ، حلل فيها

أحداث المغرب بالموازاة مع تلك التي شهدتها البحر الأسود عام 1918 : « هاتان الحربان ليستا دستوريتين ، إننا نتمنى أن يحدث عصيان في صفوف الجيش الفرنسي الموجود على خط النار في مواجهة الريفيين ، وسيكون هذا شرف للطبقة العمالية الفرنسية » . وقال ممثل الفيدرالية الشيوعية لمنطقة باريس : « لقد وعد تحالف اليسار بالسلام خلال الإنتخابات البلدية ، وهكذا صوتت لصالحه ملايين من العمال ، معتقدة أنها صوتت لفائدة السلام ، إنه لمن الضروري أن تكون جماهير التحالف على علم بذلك » . وندد المتحدث بسياسة حكومة التحالف ، التي اعتبرها خاضعة لأوامر بنك باريس و الأراضي المنخفضة ، ومستنيرة بمشورة ودعم الزعماء الإشتراكيين . كما دعا الجماهير الكادحة إلى القيام بعمل مشترك ضد الإمبريالية ، انطلاقا من تظاهرة قوية ضد الحرب الجارية في المغرب : « إنها حرب طويلة ودموية على الأبواب : حرب حبلى بتعقيداتها الدولية . رفاقي العمال ، احذروا ! شكلوا لجان وحدتكم العمالية ، وعبروا من خلالها عن موقفكم المضاد للحرب الإفريقية ، هيثوا ، عبر دعاية مكثفة ، مؤقرا تعبر فيه شغيلة المنطقة الباريسية للحكومة عن إرادتها في إنهاء الحرب الريفية

والجلاء فورا عن المغرب » . وبعد ذلك ، أخذ الكلمة جاك دوريو ، العمدة الشيوعي لمقاطعة سان دوني ، معيدا إلى الأذهان حملة جون جوريس ضد حرب المغرب : « لو أن هذا الخطيب الشعبي البليغ مازال على قيد الحياة ، لأدان المارشال ليوطي والإشتراكيين الذين خانوا القضية العمالية العالمية بتصويتهم على الميزانية » . وأكد دوريو على أن مسؤولية سقوط آلاف من الجنود الفرنسيين فوق التراب المغربي ، تقع كاملة على الإمبرياليين والصيارفة الذين جذبتهم وفرة المعادن وإمكانية فتح أسواق جديدة . ومن أجل تحقيق ذلك ، قضت نحبها هناك أعداد من الفرنسيين والإسبانيين . وأعطى لمحة موجزة عن تطورات القضية الريفية : « إن الشعب الريفي لم يكن يريد الحرب . في سنة 1922 ، طلب عبد الكريم وساطة إنجلترا ، وكان الرد هو الرفض ، فتقدم الى فرنسا وأرسل مبعوثين الى ليوطي ، وكانت نفس النتيجة ، إن فرنسا لا تريد السلام . ومنذ 1924 ، أتبعت خطة حربية أخرى ، ورغم استفزازات ليوطي ، فإن الريفيين يريدون السلام . لقد بدأت الطائرات الفرنسية بقنبلة قرى ريفية معزولة ، وأقيم حصار شديد على الريفيين ، كما أن منطقة ورغة التي تعتبر مخزن الحبوب

بالنسبة للريفيين ، يوجد الآن جزء منها تحت احتلال الجيوش الفرنسية ، إنها المجاعة » ، ووجه دوريو أمرا للجنود الفرنسيين يدعوهم فيه للتآخي مع الريفيين . بعده ، تدخلت سيزان جيرو لتخاطب جمهور النساء ، مذكرة بأهوال حرب 1914 وعمليات « حشو الدماغ » الدعائية التي واكبت هذه الأحداث الأليمة : « إن رفيقاتنا العاملات يتذكرن كيف تم حشو أدمغتهن سنة 1914 . لهذا ، فإنهن لن يسمحن ، هذه المرة ، باختطاف أبنائهن للدفاع عن مصالح الرأسمالية الدولية . ومن جهة ثانية ، فإن النساء يردن الدفاع أكثر فأكثر عن حقوقهن السياسية ، ولهذا جئن بكثرة إلى هذا المهرجان . إنه من الضروري أن تقوم النساء بدعاية مستمرة ضد حرب المغرب ، في المعامل ، في الأوراش ، وفي الإدارات » .

وياسم الجالية الشمال - إفريقية بفرنسا ، ألقى الكلمة محمود بن الأكحل ، الذي دعا المسلمين إلى عدم إعطاء أي مصداقية للدعاية الكولونيالية الخاصة بحرب المغرب ، ونادى بإعلان الكفاح ضد « الطغاة من كل الأعراق » ، مضيفا : « إن الريفيين سيشترون غدا ببضع دولارات ، فرنكات ، جنيهات ، وماركات ، لأن المسلمين تركوهم

للإبادة ، وهم إخوانهم الأشقاء في الدين وفي القلب » .
وألح بن الأكلحل في كلمته على مكافحة البورجوازية
الاوروبية بالإعتماد على الحزب الشيوعي الفرنسي ،
واختتم قائلا : « ماذا تنتظرون ، معشر المسلمين ، لقد آن
الأوان لتتحرروا من نير الإمبريالية الفرنسية والدولية ،
باسم قبائل الجزائر ، ادعوكم لتحرير الريف » . وعبر لامين
سنغور ، الذي سيصبح فيما بعد رئيسا للسنغال وكان إذاك
يعمل ساعيا للبريد في فرنسا ، عن استيائه بصدد حملة
التعبئة العامة التي استهدفت السود في بلده ، لأجل
تجنيدهم ضد الريفيين : « تتم اليوم عملية حشو أدمغة
السنغاليين ، تماما كما حدث ذلك بالنسبة للعمال الفرنسيين
عام 1914 . ويقال لهم إنهم سيواجهون الجنود الفرنسيين ،
في حالة رفضهم التعبئة » . ودعا سنغور الآباء الفرنسيين
لمنع ذهاب أبنائهم للمقتال في المغرب ، كما ندد بحالة
العبودية التي توجد عليها شعوب إفريقية مختلفة ، بفعل
الإمبريالية الأوروبية . وكانت هذه العبارة ختاما لخطابه :
« يا شعوب كل البلدان ، اتحدوا ، كسروا أغلالكم ،
وتآخوا » .

وباسم الجمعية الجمهورية لقدامى المحاربين ، تمنى ديكلو

لهذا المهرجان أن يخلف آثارا واسعة ، حتى يتضح لعبد
الكريم أن الطبقة العمالية الفرنسية ليست في شيء من
هذه الحرب المفروضة من طرف الرأسمالية الدولية . وأن
البرولتاريا الفرنسية لا تتحمل أي مسؤولية في هذا الشأن ،
وأضاف : « يجب أن تقطع البحر أصدا هذا المهرجان ،
لتبلغ الريفيين ، الذين يكافحون من أجل الدفاع عن
بلدهم ، تحيات الشغيلة الباريسية » . وانتقد فرانسوا
شاسين ، العضو في اللجنة الخاصة بالإعلام السياسي
للحزب الشيوعي ، مواقف الصحافة البورجوازية التي تجزم
أن حرب المغرب ماهي إلا مجرد عملية أمنية : « إن الخسائر
في صفوف قواتنا هامة ، ونتوصل من مصادر مختلفة بأخبار
مصرع رفاقنا ، وفي كل يوم تغادر قوافل دعم عسكرية
جديدة في اتجاه المغرب ، إن هذه الحرب طال أمدها ، ومن
الواجب على جنودنا أن يتآخوا مع الريفيين » . كما انتقد
ترأث الرقابة الشديدة التي يمارسها تحالف اليسار الخاضع
لنفوذ الأوساط المالية . واختتم المهرجان أعماله على الساعة
الحادية عشرة والربع ليلا بقراءة البيان الختامي الذي تمت
الموافقة عليه بالإجماع . وكان كليمان ديسيسكلاد ، عضو
مكتب التنظيم باللجنة المركزية للحزب ، هو الذي ألقى

التقرير النهائي : « إن العمال البارسيين الـ 15000 ،
المجتمعين بلونا بارك ، وبعد استماعهم لمختلف التدخلات ،
ليعلنون عن تنديدهم بالطبيعة اللاقانونية لحرب المغرب .
وهي حرب أرادتها وخططت لها منذ سنتين الطففة
العسكرية بالرباط ، إمتثالا لأوامر التكتلات المالية وبنك
باريس والأراضي المنخفضة ، من أجل الإستحواذ على
ثروات الريف المعدنية ، وإخضاع الشعب الريفي . هذا
الشعب المسالم الذي قدم تضحيات جسام من أجل الحفاظ
على استقلاله . لذا يعبر المجتمعون بلونا بارك عن إرادتهم
في مكافحة هذه المجزرة بكل الوسائل النضالية الفعلية ،
الكفيلة بتحقيق سلام فوري في الريف ، والإعتراف
بالجمهورية الريفية ، والجلء عن المغرب » .

يمكن القول ، بعد مهرجان لونا بارك الخطابي ، أن حملة
الحزب الشيوعي الفرنسي ضد حرب الريف قد رسمت أفق
العمل النضالي ، وأشارت إلى طبيعة الوسائل التي يمكن
توظيفها لبلوغ ذلك الهدف . ولم يبق إلا الممارسة الميدانية
الفعلية لتجسيد الإلتزام داخل فضاء إديولوجي واضح
المعالم ، أصبح يفرض نفسه في المعتزك السياسي
الفرنسي . ●

« لم يكن الحزب الشيوعي الفرنسي يتراجع أمام قمع أنصاره في المغرب. »

سياسة التهدة

المحزب الشيوعي الفرنسي لمواجهة كل
الإحتمالات ، وبدأت عملية شد الحبل بينه وبين
السلطات الكولونيالية داخل فرنسا وخارجها ، لقد شن حربا
دعائية شعواء ضد الرأسمالية والإمبريالية الدولية التي
غرست مخالبتها في الأراضي المغربية لاستنزاف خيراتها
وإذلال أبنائها . وكان تضامنه مع الريفيين بالقول والفعل
معا . دامت الحملة عدة شهور بدون انقطاع ، وزعت خلالها
عشرات الآلاف من المناشير والملصقات والإعلانات الثورية

التحريضية ، البعض منها تم إرساله سرا إلى المغرب لتحسيس الرأي العام المحلي وخاصة إلى المجندين الفرنسيين والعمال الأوروبيين المقيمين بالمغرب . وعقدت عدة ندوات ومؤتمرات داخل فرنسا لمواصلة التعبئة ودعم موقف الحزب من الحرب الريفية ، وكانت الشرائح الاجتماعية المستهدفة من هذه الحملة ، تتكون أساسا من العمال والطلبة والجنود والمزارعين والجالية المغاربية المقيمة بفرنسا . وخصت جريدة " ليمانيتيه " ، لسان حال الحزب الشيوعي ، تغطية مكثفة لهذه الحملة ، معلنة بين الفينة والأخرى عن إعتقالات ومداهمات تعرض لها أعضاء الحزب . وفي مقال نشرته في عددها بتاريخ 31 ماي 1925 ، جاء في العنوان الرئيسي : « إن الحرب هي التحالف المقدس لمتزعمي التهدة » . ويفيد عنوان فرعي أن الحكومة الفرنسية تقوم بعمليات « التهدة » داخل فرنسا نفسها . وهو مقال يهاجم حكومة تحالف اليسار التي كانت تنتهج سياسة كولونيالية تعتمد على السلاح والدعاية الكاذبة . وكتبت " ليمانيتيه " بهذا الصدد : « يتابع تكتل اليسار سياسته بنوع من الهدوء ، والصحافة البورجوازية لا تعبر اهتماما للإعتقالات والمداهمات

التي أعلننا عنها هذه الأيام ، إنهم يريدون أن تكون الحرب المغربية حريا تحظى بقبول شعبي . لهذا ، فإنهم لا يحبون أن تتطرق الصحافة إلى الإستياء العميق الذي عم الطبقة العمالية نتيجة للمذبحة المغربية » .

ولمكافحة آثار الحملة الشيوعية في أوساط الجالية المسلمة الشمال - إفريقية ، قررت الحكومة الفرنسية ترقية قدور بن غبريط إلى مرتبة وزير شرفي مفوض مطلق الصلاحية ، وكان يشغل منصب قنصل فرنسا العام ورئيس جمعية أراضي الحبوس وأماكن الإسلام المقدسة . وفي هذا الموضوع ، كتبت صحيفة " إيكودوباري " ، يوم 22 ماي 1925 ، تعليقا إخباريا : « تم منح هذا الوسام ، في الإدارة الفرنسية ، للمرة الأولى لمسلم فرنسي . وهو تأكيد من الحكومة الفرنسية على الرعاية التي يحظى بها مسلمو شمال إفريقية ، إعترافا لهم بتعلقهم الوفي بفرنسا » .

وتواصلت حملة الحزب الشيوعي في مطاردتها للدعاية الرسمية ، محاولة جذب أنظار الرأي العام الفرنسي وجعله يشجب سياسة تحالف اليسار البربرية ، وعقد ما لا يقل عن 82 ندوة عمومية أو جمعا جماهيريا ، 70 منها خلال سنة 1925 ، و 12 مع بداية 1926 ، هذا ، بغض النظر

عن التجمعات التي نظمتها الشبيبة الشيوعية ، كما قام الحزب الشيوعي بتأطير 7 مؤتمرات للعمال و الفلاحين ، خلفت إنعكاسات كبيرة . وكمثال على ذلك ، المؤتمر العمالي ، المنعقد أيام 4 و 5 يوليوز 1925 ، الذي جمع 2470 مندوبا . وكان الهدف منه هو تجسيد الإحتجاج العمالي ضد حرب الريف . وقد كانت من بين نتائجه ، تعيين «لجنة لتقصي الحقائق» التي طلب من أعضائها السفر الى المغرب لمحادثة الجنود والمجرحي ، ثم العودة إلى فرنسا لتقديم تقرير مفصل أمام المجالس الشعبية في باريس والأقاليم الفرنسية الأخرى . ووافق هذا المؤتمر كذلك على قرار يقضي بشن اضراب عام . وهو إضراب نظمته فعلا أجهزة الحزب ، وشتته الطبقة العمالية في كثير من القطاعات يوم 12 أكتوبر 1925 ، أما فيما يخص «لجنة تقصي الحقائق» ، فقد أبحرت مجموعة من الأسماء البارزة على مستوى قيادة الحزب في اتجاه الجزائر ، حيث واصلت رحلتها نحو منطقة الحماية الفرنسية عبر وهران . لكن البعثة الشيوعية لم تتمكن من أداء مهمتها ، لأن المارشال بيتان ، القائد العام للقوات الفرنسية بالمغرب ، أعطى أوامره بمنع أعضائها من

الدخول إلى التراب المغربي ، وإرجاعهم إلى الجزائر التي كانت تعتبر امتدادا للتراب الوطني الفرنسي .

وهكذا ، لم يدخر الشيوعيون الفرنسيون جهدا في حملتهم ضد حرب الريف ، ولم يكن الحزب الشيوعي الفرنسي ليتراجع أمام أساليب القمع التي طالت عددا من المنتمين إليه ، مع أن هذا التنظيم السياسي لم يستوف بعد السنة الخامسة من عمره ، فقد نشرت جريدة " ليماينتيه " حصيلة أولية ، في 13 أكتوبر 1925 ، للممارسات القمعية التي استهدفت الشيوعيين و المتعاطفين معهم ، وكانت الحملة في أوجها ، وهذه الحصيلة الأولية تمثلت في إدانة 113 شيوعيا بالسجن لمدة إجمالية وصلت إلى 68 عاما ، وحوالي 40000 فرنك غرامة ، وبعد ذلك بشهر ارتفع عدد الإعتقالات ليناhez 400 إعتقال بسبب حرب الريف ، ورغم ظروف الحصار المضروب على الريفيين ، والرقابة الشديدة على جميع المستويات ، وبقظة أجهزة المخابرات ، فإن الشيوعيين استطاعوا النفاذ إلى الرأي العام المحلي في المغرب ، وزعزعوا شيئا ما الإقامة العامة بالرباط . ●

« عبد الكريم استطاع بحنكته القيادية ، أن يصنع حداً لطائفوت
ليوطي في المغرب ، وأجبره على تقديم استقالته كأول مقيم عام
للجمهورية الفرنسية . »

الشيوعية في المغرب

لعل

من الانتصارات السياسية البارزة التي حققها الريفيون في مجابهتهم للفرنسيين في المغرب هي تلك التي تجلت في استقالة المارشال ليوطي . إن هذا الأخير كان حقا داهية استعمارية وذا باع طويل في ميدان العمل الكولونيالي المتطور . لقد استطاع أن يبني مؤسسة الحماية الفرنسية بالمغرب على أسس من التضليل والخداع والتحايل الماكر ، مما أضعف في كثير من الأحيان مقاومة الشعب المغربي للهجمة الإستعمارية . وكان هذا المقيم العام

يحظى باحترام وتقدير اليمين الكولونيالي والأسر
الأرستقراطية بفرنسا . كما كانت الأوساط العسكرية
والسياسية الفرنسية تعترف له بكفاءته العالية في مجال
الإستراتيجية العسكرية والدعاية الحربية ، إلى درجة أن
فرنسا استدعته في غمرة الحرب العالمية الاولى لتولي
منصب وزير الحرب . وبعد شهور معدودة على توليه هذا
المنصب ، رجع إلى المغرب ليواصل سياسة « التنظيم
المتحرك » أو « بقعة الزيت » التي كان يطلقها على نهجه
الكولونيالي التوسعي . لكن الريفيين كانوا له بالمرصاد
وكسروا شوكتهم ، ولم يبالوا بأكاذيبه الإصلاحية ، ولم
تخفهم أو تنل منهم إستراتيجية استعراض العضلات مع
التظاهر باحترام الشرعية والتودد الزائف التي كان ليوطي
يحسن إتقانها . لم يكن عبد الكريم من طينة التهامي
الكلاوي ، باشا مدينة مراكش ، الذي صرح للصحافة
الفرنسية : « بالنسبة لبلد كفرنسا ، لا يجب أن تكون هناك
مسألة ريفية . نحن نعرف بلدكم ونحبه ، ونعتبر أن عبد
الكريم من المشاغبيين الذين عرفناهم من قبل ، وما
أكثرهم » . فبفضل استماتتهم وإيمانهم بعدالة قضيتهم ،
استطاع الريفيون أن يضعوا حدا لطاغوت ليوطي في المغرب

وإجباره على تقديم استقالته من منصبه كأول مقيم عام للجمهورية الفرنسية بالمغرب .

وطبعا ، قبل استقالته المؤرخة بـ 28 أكتوبر 1925 ، كان عليه أن يواجه حملة الحزب الشيوعي الفرنسي المؤازرة لكفاح الريفيين .

عموما كانت الدعاية الكولونيالية تتعامل مع تظاهرات وتحركات العناصر الشيوعية على أساس أنها من قبيل تلك التي كانت تقوم بها العناصر الإسلامية . وهذا الخلط المقصود كان الهدف منه هو تكريس الجهود وتوحيدها لمواجهة عدوين لدودين في آن واحد : هما التيار البلشفي والتيار الإسلامي . وبناء على تقارير المخابرات بشأن التحركات الشيوعية ضد حرب الريف ، وضعت الحكومة الفرنسية قبل بداية الهجوم العسكري المزدوج على الريف بقليل ، ما أسمته بنظام الدفاع الموحد ضد الدعاية الشيوعية بإفريقيا الشمالية . وهكذا ، توصل ممثلو السلطات الكولونيالية الفرنسية في كل من الرباط و الجزائر وتونس إضافة إلى الوزير الفرنسي المنتدب بالقاهرة والمفوض السامي الفرنسي ببירות ، بنفس البرقية التي كان مصدرها وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية بباريس . وهذا نصها : « يجب التبليغ

من الآن فصاعدا ، وكل ما أمكن ذلك ، عن كل التحركات ، بين بلدان إقامتكم وبلدنا ، التي يقوم بها الفرنسيون أو أجانب يشتبه في اقدانهم على ربط علاقة بين الحزب الشيوعي الفرنسي والاممية الشيوعية أو تنظيمات تابعة لها . « ورغم كل الإحتياطات المتخذة ، فقد تسربت مناشير الحزب الشيوعي إلى المغرب ، وتم توزيعها سرا في الأوساط الشعبية . لكن شرطة الحماية والمصالح التابعة لها سرعان ما استعقبتها وجمعت الكثير منها .

إلا أن عملها هذا أصبح غير مجدي ، لأن محتوى المناشير هبت عليه رياح الأشاعة فتطاير في كل الإتجاهات . في هذه المناشير دعوة صريحة ومباشرة موجهة إلى الشعب المغربي لكي يثور ضد مضطهديه الرأسماليين ، تحت قيادة عبد الكريم ، بطل استقلال المغرب . وبما أن الإقامة العامة كانت تتمتع بسلطات مطلقة منذ إعلان حالة الحصار في شهر غشت 1914 ، فقد تم إصدار أوامر صارمة باجراء كل الإعتقالات اللازمة في جميع الأوساط التي قد تشم منها رائحة الشيوعية أولها صلة معينة بحملة الحزب الشيوعي ضد حرب الريف وذلك بدعوى « الحفاظ على النظام العام وسلامة الجيش » . وسجلت عدة حالات تمرد في صفوف

وحدات القوات العسكرية في مكناس ، قالت السلطات إنها من الآثار المباشرة للحملة الشيوعية المساندة للريفين . وبعد إلقاء القبض على بعض العناصر الفارة من الجيش واستنطاقهم ، تم توجيه التهمة إلى كاريت بوقي ، مدير أسبوعية كانت تصدر في الدار البيضاء تحت عنوان " لوكري ماروكان " ، على اعتباره الرأس المدبر لتنظيم سري يعمل على تنشيط الحملة الشيوعية داخل صفوف الجيش لحث الجنود على العصيان ومساعدة الفارين منهم بتزويدهم بجوازات سفر مزورة ومدّهم بالمال الكافي لسد نفقات السفر إلى فرنسا ، بعدها يمكن لهم الإتصال ببرلمانني شيوعي معروف يدعى فايون كوتيريبا للحصول على شغل والتخلي نهائيا عن الجندية . وهكذا تم إلقاء القبض على مجموعة متهمة بضلوعها في هذا التنظيم السري ، من بينهم رئيس جمعية السككيين ، وكاتب الحزب الاشتراكي رئيس فيدرالية الجمعيات المهنية ، ورئيس الرابطة العمالية للرباط ، ورئيس جمعية البناء . كما صدرت أوامر بإبعاد عدد من الفرنسيين يبدو أنه كانت لهم علاقة بالحملة الشيوعية . واعتقل واحد من كبار الموظفين بالإقامة العامة التي اتهمته بمدّ التنظيم المشار إليه بوثائق

سرية .

و من جهتها قامت السلطات الإستعمارية بالجزائر بحملات تفتيش مكثفة أسفرت عن العثور على عدة مناشير شيوعية تصب كلها في الحملة الشيوعية ضد حرب الريف وتحرض الشعب المغربي على الإنتفاضة ضد الاستعمار الأوربي وقوى الإستغلال ، وقد برأت هذه المناشير العمال والفلاحين وقسما من الجيش من خدمة مصالح المستعمر ، بل أكثر من ذلك ، لقد وقفوا - تقول المناشير - منذ البداية ، في كل من فرنسا وإسبانيا ، ضد كل حملة عسكرية كولونيالية . وجاء في منشور حرر باللغة العربية أن هذه الشريحة من المواطنين الفرنسيين تصيح بأعلى صوتها مرددة : « عاش استقلال المغرب » . ومن الجدير بالذكر أنه تم صدور أمر بمنع جريدة " ليمانيتيه " في منطقة الحماية الفرنسية . لكن مع ذلك كانت أعداد منها تصل إلى المغرب وتوزع خفية . واكتشفت صاحبة مكتبة بوزان (وكانت يهودية تدعى بن حيون تعمل لصالح المخابرات الفرنسية) عديدين من الجريدة الشيوعية وقد لقا بداخل طرد وصلها من باريس ، وهذا ما دفع الإقامة العامة إلى مراسلة وزارة الداخلية بفرنسا تطلب منها تشديد الحراسة

على مستخدمي وكالة " هاشيت " الذين يُعتقد أنهم كانوا وراء دس مناشير وجرائد ممنوعة في طرود عادية موجهة إلى المغرب . وفي خضم هذه الحملة ، تحرك أصدقاء ليوطي داخل فرنسا لمؤازرته ، وكان منهم أعضاء العصبة الفرنسية للدفاع عن المصالح الحيوية لفرنسا ومستعمراتها ، وهي جمعية ذات المنفعة العامة كان يرأسها الجنرال ويبي . لقد عبروا عن دعمهم اللامشروط للمقيم العام في صراعه مع الريفين ومكافحته للدعاية الشيوعية . حيث أصدروا بيانا جاء فيه : « إن أعضاء اللجنة الإدارية والمجلس الوطني للعصبة الفرنسية ، في الجمع العام بتاريخ 13 يونيو ، يعبرون عن ولائهم بالثقة للمارشال ليوطي ، ويفضحون المناورات الشيوعية الهادفة إلى تسليح وتشجيع عصابات عبد الكريم المتعاطية للنهب والخارجة عن طاعة السلطان . ويعربون عن أملهم بإلحاق قصاص شاق بهذه التصرفات الإجرامية أيا كانت جهات مصدرها » .

وهكذا ، استطاعت الحملة الشيوعية أن تشغل إلى حد ما بال المصالح الإستعمارية بالمغرب وتساند الريفين معنويا في كفاحهم ضد العدوان والطغيان . وهو الشيء الذي لم يستطع القيام به الحزب الشيوعي الإسباني ، الذي تأسس

هو كذلك سنة 1920 ، لأن الديكتاتور برمودي ريفيرا أصدر الأوامر في شتنبر 1923 بحظره ومنع أنشطته . وتقترب من حملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضد حرب الريف ، من حيث الحدة والحسم في الموقف ، بعض الصحف الألمانية ولكن لأسباب تغلب عليها خلفية النزاع التاريخي الفرنسي - الألماني . ●

« لولا تدخل القوات الكولونiale الفرنسية ، لما قامت إسبانيا في المنطقة الشمالية المغربية قائمة . »

مصير عبد الكريم

لشد

ما كان غيظ و إحباط الرأي العام الإسباني وهو يتلقى نبأ استسلام القائد الريفى للقوات الفرنسية ، إلى درجة أنه يمكن معها مقارنة هذا الإحباط بالأثر الذي قد يخلفه نبأ الفشل التام لكل الحملة العسكرية الإسبانية في الريف . إن مظاهر الانتصارية و البهجة والمحبور المنتظرة لم تحدث كما كان متوقعا . وكانت هذه الحسرة وخيبة الأمل العميقة شعورا يميز أكثر ما يميز ضيق رجل الشارع الإسباني الذي تلقى بمرارة قصوى خبر استسلام

عبد الكريم للفرنسيين . أما السلطات السياسية والعسكرية الإسبانية العليا فقد كانت تعلم علم اليقين أنه لولا تدخل القوات الكولونيلية الفرنسية لما قامت لإسبانيا في المنطقة الشمالية المغربية قائمة ؛ لأن الريفيين منذ معركة أنوال والمواجهات التي تلتها أصبحوا في وضع يمكنهم من إلحاق هزيمة نكراء بالإسبانيين ، وفعلا كانت روحهم القتالية العالية ورسالتهم الميدانية المذهلة من بين المؤشرات الواضحة على أنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق نصر مكن ضد الإسبان .

ومحاولة منها لإخفاء هذا التذمر العام ، نشرت صحيفة " لاناسيون " ، الناطقة باسم تكتل الوحدة القومية ، يوم 6 يونيو 1926 ، تعليقا محللة فيه أسباب النصر الذي حققته إسبانيا في المغرب ، وحصرتها في أربعة:

1 - الهجوم على الحسيمة هو الذي سدّد ضربة في العمق للكيان الريفي ، وذلك رغم ما كانت تعتبره أركان الحرب الإسبانية و الأجنبيّة أمرا يصعب القيام به . ويرجع الفضل في نجاح هذا الهجوم إلى القرار الصائب والإرادة القوية للمركيز ديستلا العظيم .

2 - صلابة الموقف الإسباني بينت على أن مباحثات وجدة

اقترحها عبد الكريم فقط لريح الوقت و إعادة بناء قواته .
فبفضل حنكتهم وذكائهم ، استطاع الإسبان إحباط هذه
المناورة وإنقاذ الفرنسيين من الوقوع في فخها .

3 - السلطة العسكرية كانت على أتم استعداد ، وهذا
ما مكن الإسبان من الوصول إلى تخوم غمارة منذ الوثبة
الأولى .

4 - تخلت قيادة العمليات عن أساليب الخطط السابقة
التي كانت تتميز بالتوقف كلما أحرز تقدم إلى الأمام .
وهكذا تمت ملاحقة العدو بدون هوادة إلى عقر داره ، مما حال
دون تمكن هذا الأخير من استعادة قواه .

كانت الصحيفة ترمي من وراء هذا التحليل المبسط
والساذج ، قبل كل شيء ، إلى رفع معنويات الجيش
الكولونيالي المنهارة من جراء الخسائر الفادحة التي
تكبدها في صفوفه، ويصفتها المنبر الدعائي لكتلة
الوحدة القومية ، فقد كانت تعبر في نفس الوقت عن
الموقف الرسمي للحكومة الإسبانية ذات القناعة الإستعمارية
المتجذرة .

وعلى أي فإنه يمكن القول بأن التعاون الفرنسي -
الإسباني و الإتفاقيات العسكرية بالذات ، فيما يخص

التنسيق المشترك للعمليات ، قد بلغت الأهداف المسطرة . وعلى ضوء هذه النتائج ، انطلقت مباحثات باريس لإعادة ترتيب الأوراق و الدخول في مرحلة ما بعد الثورة الريفية ، وبهذا الصدد صرحت الحكومة الإنجليزية أن المسائل المطروحة تهم فقط فرنسا وإسبانيا . وهو ما دفع الصحافة الإسبانية إلى جعل تعليقها تنحصر في إطار ثنائي ، فرنسي - إسباني . وفي تعليقها على مفاوضات 13 يونيو بباريس ، سعت " لانسبون " إلى إبراز الدور الذي لعبه الجنرال بريمو دي ريفيرا ، وأعلنت أنه : « خلافا لما أوجت به بعض الصحف الأجنبية ، فإن المفاوضات ستتعلق فقط بالنقط التي تدخل في إطار الصلاحيات التي خصت بها اتفاقية الجزيرة الخضراء فرنسا وإسبانيا ، دون تدخل عناصر أجنبية » . وهو ما عادت لتأكيدده صحيفة " أ.بي.سي " في عددها بتاريخ 26 يونيو 1926 حيث جاء فيه : « خضوع القبائل التي تفصلها الحدود بين المنطقتين لوحدة السلطة القضائية ، تطبيق نظام مماثل فيما يتعلق بالإمتيازات والإلتزامات التي تهم القبائل المتواجدة في المنطقتين ، تنسيق العمل العسكري والسياسي على أمتداد تراب الحماية ، مصير عبد الكريم وزعماء التمرد ، كلها

أسئلة لا تهم أي دولة أخرى ... » ، لكن جريدة " انفرماسيونس " رأت أن الفرنسيين « يثيرون مشاكل تخرج عن نطاق الإتفاق الثنائي ، وتتطلب تدخل طرف ثالث » . وكان مصير عبد الكريم ، إلى جانب مخطط « التهدئة » ، من بين المشاكل الرئيسية التي أخذت حيزا زمنيا هاما في مفاوضات باريس . هذا مع العلم أن المقاومة في الريف لم تخمد ناراها تماما باستسلام عبد الكريم الخطابي ، وكان تقنيو الإستعمار الفرنسي بالمغرب يعتقدون أن إسبانيا على استعداد للتخلي عن منطقتهم . ويبدو أن الإيطاليين كان لهم نفس الإعتقاد ، ولهم رغبة في الحصول على مقابل إذا ما تحقق توسيع المنطقة الفرنسية على حساب الإنسحاب الإسباني ، بيد أن إسبانيا ، وبدعم من إنجلترا ، أصرت على الإحتفاظ بكل منطقة نفوذها . وابق كوربوس باركا ، مراسل جريدة " السول " ، يوم 25 يونيو 1926 من باريس : « قرر مفاوضو باريس عدم الإلحاح على تسطير الحدود ، والإستناد إلى التقسيم السياسي الوارد في معاهدة 1912 » . وفي حديث لـ " ساندي تايمز " ، نشر يوم 27 يونيو 1926 ، صرح الجنرال برمودي ريفيرا : « إذا لم يكن بالإمكان فرص

سيادتنا على طنجة، كما هو الحال بالنسبة لسبتة ومليلية ، فإننا نرغب على الأقل أن تكون طنجة داخل منطقة حمايتنا . وعزا الجنرال النتائج التي حققها الإسبان في المغرب إلى قيام نظام حكمه وإلغاء النظام البرلماني .

انتهت مفاوضات باريس في الأسبوع الأول من يوليو 1926 ، وفي العاشر منه كتبت " أ.بي.سي " : « عززت اتفاقية باريس التعاون بين فرنسا وإسبانيا في المغرب ، وهو التعاون الذي أعطى نتائج سياسية وعسكرية ممتازة منذ يوليو 1925 » ، ونشرت " نوتيسيرو ديل لونس " ، يوم 12 يوليو 1926 ، بعض الإيضاحات حول نتائج مؤتمر باريس ، منها :

- الإتفاقية الفرنسية - الإسبانية الجديدة لا تخرج عن إطار الخطوط العريضة التي رسمتها إتفاقية مدريد ، المبرمة بين البلدين قبل ذلك بسنة .

- تمت الموافقة على نظام الحدود البحرية والبرية .
- يمكن للقوات الفرنسية أن تتدخل في المنطقة الإسبانية إلى أن تتم « تهدئة » شمال المغرب .

- محاربة التهريب و البحث عن « غير المرغوب فيهم » ، في المنطقتين ، موضوع يترك لإتفاقية منفصلة بين

البلدين .

- يتم انسحاب القوات الفرنسية من المواقع التي احتلتها متى كانت القوات الإسبانية قادرة أن تحمل محلها .

- يحسم في مسألة الحدود في عين المكان ، وذلك وفقا

للمخطوط العريضة التي رسمتها الإتفاقية الفرنسية

الإسبانية لسنة 1912 .

- تم الإتفاق بشأن مصير عبد الكريم

هكذا ، تم القضاء على الإنتفاضة الريفية في شكلها

الثوري المنظم ، وحصل الإتفاق بين القوى الإستعمارية بناءً

على المصالح المشتركة من جهة ، وعلى استراتيجيات كل

طرف على حدة من جهة أخرى ، وبعد مؤتمر باريس بأسابيع

معدودة ، قام الفرنسيون بإبعاد الزعيم عبد الكريم إلى

جزيرة لارينيون في المحيط الهادي . وتوقفت حملة

الدعاية التي كانت تقوم بها الصحف الإسبانية لفائدة

سياسة الإستعمار الفرنسي بالمغرب . وصرح هارتادو ،

المدير السياسي لجريدتي " لبرال " و " هرال دو " ، أنه

غير قادر لمتابعة دعمه الدعائي لصالح الإستعمار

الفرنسي ، لأن « الغضب الشعبي ضد عبد الكريم » طال

فرنسا التي استسلم لها ، والتي لم تسلمه لإسبانيا .

ومن الجدير بالإشارة إلى أن الفرنسيين لم ينظروا إلى عبد الكريم وكأنه مجرد سجين حرب وحسب ، بل اعتبروه سلاحا إستراتيجيا بالنسبة لمستقبل فرنسا الكولونيالي في إفريقيا الشمالية قاطبة . وهناك تقرير مفصل بهذا الشأن ، محرر بالرباط بتاريخ 14 يونيو 1926 ، لهذا اتسمت معاملتهم له بنوع من الليونة والتقدير . ●

« إسم عبد الكريم سيبقي حيا في الريف .. سيبقي على شكل
مشروع للإستقلال . »

مواقف الصحافة الألمانية

كان تعاطف الرأي العام الألماني مع الريفيين واضحا في كثير من ردود الفعل التي سجلتها الصحافة الألمانية بنوع من المראה ، وكأن الكفاح الذي كان يخوضه أبناء الريف ، ضد فرنسا على الخصوص ، هو نفس الكفاح الذي كان على الألمان خوضه مباشرة غداة معاهدة فرساي ، لكنهم وحدوا أنفسهم في وضع لا يسمح لهم بمواصلة القتال ، وهناك من يرى خلاف ذلك ويساند فرنسا وإسبانيا في هجومهما على الريف . إلا أن هذا الاتجاه

الأخير كان ضعيفا مقارنة باتجاه التعاطف الجارف مع الريفين بناء على القاعدة المعروفة : عدو عدوي هو صديقي .

ومن جديد برز المغرب في العلاقات الفرنسية الألمانية كموضوع ساخن وقضية مرشحة للمزيد من التوتر ، سيما وأن الصحافة الفرنسية تتهم ألمانيا صراحة بالوقوف إلى جانب الريفين ، وهو ما كذبت السفارة الألمانية بباريس ، كما أن الصحافة الألمانية كانت دائما تكذب كل الأخبار المتعلقة بتواجد ضباط ألمان يعملون في صفوف المقاومة الريفية ، وحدث أن ورد اسم فورستر تقول عنه قصاصة لوكالة " فورنيي " الفرنسية إنه ضابط سابق بأركان الحرب العامة الألمانية يعمل كمستشار عسكري لعبد الكريم ، وتفيد القصاصة أن هناك ضباطا ألمان آخرين في صفوف الريفين ، من بينهم الماجور فون طاننبرج . وهو ما كذبت وكالة الأنباء الألمانية " فولف ' ، في بلاغ لها بتاريخ 5 غشت 1925 : « إن أخبارا من هذا النوع لم يسبق لها أبدا أن صدرت عن مصادر رسمية ، وأنه غالبا ما يتم تكذيبها في المغرب مباشرة بعد صدورها . ولقد ارتأينا أن نستفسر الجهات المختصة لأن الأمر يتعلق هذه المرة بأسماء محددة ،

فأفادتنا هذه الجهات أنه لا يوجد على الإطلاق ضابط ألماني اسمه فورستر ينتمي إلى أركان الحرب العامة ، كما أنه لا يوجد على الإطلاق أي ضابط يحمل اسم طاننبرج ينتمي إلى الجيش الألماني » . وطلب وزير خارجية فرنسا من سفير بلده ببرلين أن يشير انتباه الحكومة الألمانية إلى مواقف الصحافة الألمانية المعادية لفرنسا ، مؤكدا على أن « أخطاء من هذا القبيل لا تخدم سياسة الإنفراج المتبعة حاليا من طرف الحكومتين » . وبطبيعة الحال استمرت الصحافة الألمانية في تغطيتها لأحداث الريف غير مبالية بتحركات الحكومة الفرنسية الهادفة إلى كبح جماحها والتقليص من لهجتها المعادية لفرنسا والمناصرة للريفين .

وفي مقال لها بتاريخ 5 ماي 1925 ، أعلنت جريدة " همبورجر فرمد نبلاط " ، أنه يجب إعادة النظر في المسألة المغربية برمتها . وحللت صحيفة " برلينر بورسن كوريي " « الوضع في المغرب » ، في مقال نشرته يوم 6 ماي 1925 ، متسائلة عن مدى متانة الروابط بين القبائل الريفية ومدى التفافها حول عبد الكريم في مجابهته مع الفرنسيين . وقالت هذه الصحيفة إن مجرد ذكر اسم « المغرب » وحده يكفي لشوران الأعصاب . وهي ترى أن

المسألة الكولونيلية تهدد هذه المرة ، أساسا ، باندلاع أزمة فرنسية بريطانية قبل أن تشمل بلدانا أخرى : « إننا نتذكر أحداثا مرت عليها الآن عشرون سنة ، عندما أثارت ألمانيا ، بنهجها سياسة الملاحكة ، حفيظة فرنسا دون أن تمنع احتلال المغرب بالقوة والمال (...) ماذا سيحدث لو ضيع الإسبان الساحل كذلك ، وماذا سيحدث لو تقدمت فرنسا إلى المضيق ، إنها خلخلة للإستراتيجية الإنجليزية . وفي حالة مقايضة سبتة بجبل طارق فإن وضع فرنسا سيستضرر (...) عندها ستصطدم فرنسا بإنجلترا ، وأقل ما ينجم عن ذلك هو ارتفاع حدة الخلاف بينهما ، وهذا لا يخدم السلام العالمي » . وفي اليوم الموالي ، حملت جريدة " كولنيشو فولكستسا بتونج " مسؤولية الهجوم على عبد الكريم لفرنسا . وتساءلت هذه الجريدة في مقالها تحت عنوان « نشاط فرنسا بالمغرب » ، عن مستقبل العلاقات الدولية ، مشيرة ضمينا إلى فترة ما قبل 1906 والتناحرات الدبلوماسية بين القوى الإستعمارية في تكالبها على المغرب ، ونشرت جريدة " ماينرر تسايتونج " ، يوم 8 ماي 1925 ، مقالا جاء فيه ، « إن فرنسا تمارس عمليا ، بواسطة الحماية ، سيادة سياسية تحاول توطيدها وتدعي أنها

بذلك تبعد الخطر الذي يهدد المصالح الأوربية . وعبر
ألكسندر فون تانتسبورج في جريدة زيدديوتشو تسايتونج ،
عن تعاطفه بوضوح تام واعترافه بالجميل للريفيين ، حيث
كتب يقول : « بالنسبة لنا ، نحن الألمان الذين توقفنا عن
القتال قبل الأوان ، مسألة واحدة يجب أن تكون دائما نصب
أعيننا : إن المكافحين الريفيين الشجعان ، الذين منذ آلاف
السنين لم يتركوا قدما أجنبية تدوس أعناقهم ، يستحقون
كل تعاطفنا العميق . إنهم يضعفون سياسة الزعامة الفرنسية
في أوروبا ، ويجعلون فرنسا تخفض صوتها أمام إنجلترا ،
ويجبرونها على سحب جيشها العدواني من منطقة الراين .
إن كفاحهم هو كفاحنا » . ونقلت كل من جريدة
" أريترتسايتونج " في عددها بتاريخ 3 يونيو 1925 ،
وجريدة " بايريشر تسايتونج " ليوم 10 يونيو 1925 ، هذا
النبأ : « منذ مدة ، يلاحظ نوع من التذمر في
صفوف الجيش الكولومبالي في منسقطتنا (مانهايم) ،
وهو ناجم عن أحداث انغرب وما يفرضه ذلك من صرامة
أكثر في نظام الجيش ، وقد تحول هذا التذمر إلى مجزرة
قتل خلالها أربعة ضباط ، وحكم على إثرها على خمسة
عشر مغربيا بالإعدام رميا بالرصاص » .

ولما أعلن عن استسلام عبد الكريم ، عبرت صحف ألمانية كثيرة عن إستيائها العميق . وهكذا ، كتبت جريدة " ديسلدورف ناخرشفتن " ، يوم 27 ماي 1926 ، مقالا بعنوان : « نهاية عبد الكريم » ، ومن ضمن ما جاء فيه : « إن تعاطف كل أوربا يرافق ، في المعسكر الفرنسي ، الزعيم الريفى البطل الذي كان ، لمدة سنين طوال من الكفاح ، روح حركة التحرير في القبائل المغربية . تأسفنا شديدا لانتهزامه ، ليس على أساس أنه كان عدوا لفرنسا ، ولكن لأنه كان يجمع ما بين الإستماتة العنيدة ومهارة القائد العسكري . ولأنه كثيرا ما حقق انتصارات من أجل الدفاع عن حقوق شعب مضطهد ، رغم التفوق الهائل لقوات دولتين أوروبيتين كبيرتين » . وفي عددها الصادر بتاريخ 27 ماي 1926 ، نشرت جريدة راينيشو فستفاليشو تسائتونج " ، تعليقا على الحدث : « يمكن للحفء أن يحتفلوا إما احتفال بانتصارهم ، لكن ليعلموا أن الإنجاز البطولي الحقيقي هو الذي حققه أولئك الذين كان سلاحهم مجرد بندقية تصدوا بها خلال سنين للدبابات والطائرات والألغام » . وكتبت جريدة " كولنيسو تسائتونج " يوم 27 ماي 1925 : « لقد انسحب من مسرح الأحداث ذلك الرجل الذي احتل الصدارة

لمدة خمس سنوات من التاريخ المعاصر » . وحللت
" بفليتسيشو روندشاو " ، في عددها بتاريخ 28 ماي
1926 ، فشل الحركة الريفية على أنه فشل مؤقت لا غير :
« إنه من حق فرنسا أن تحتفل بانتصارها ، لكن اسم عبد
الكريم سيبقى حيا في الريف ، سيبقى على شكل مشروع
للاستقلال . إن الفكرة التي من أجلها ناضل من المحتمل أن
تعيش بعده » .

وهكذا ، كانت مواقف جل الصحف الألمانية معبرة بكل
وضوح عن تعاطف الرأي العام الألماني مع أبناء الريف في
كفاحهم ضد الإستعمار الأوربي وخاصة ضد الفرنسيين .
والواقع أن هذا التعاطف كانت له علاقة وثيقة بالحق
التاريخي الدفين الذي يكنه الشارع الألماني لفرنسا ، ومعزز
كذلك بآلام الجراح التي خلفتها الحرب العالمية الأولى والتي
مازالت آنذاك لم تندمل . ●

د لم تظهر إلا مقالات قليلة تتوخى نوعاً من الإتزان الإعلامي في
معالجة الأحداث .. ،

ترتيب الأوراق

لكونها تشكل قوة كولونiale متوسطة الحجم ، كانت إيطاليا تسعى قبل كل شيء ، للحصول على توسيع نفوذها وتعزيز موقفها الإستراتيجي المتوسطي . ولهذا كانت أجهزتها الإعلامية تتابع عن كثب تطورات الحركة الكولونiale بالمغرب ، وكانت تعتبر حرب الريف بداية لشقبات كبيرة سيترتب عنها تغيير في معطيات النسق الكولونيالي ذي البنيات المتداعية . وبهذا الصدد نشرت جريدة " كوريرا دىطاليا " ، يوم 5 ماي 1925 ، برقية من

باريس مفادها أن إيطاليا تقدمت باحتجاج رسمي إلى الحكومة الفرنسية يتعلق بأحداث المغرب . وتحديدًا كانت إيطاليا تحتج على العمليات العسكرية التي تقوم بها فرنسا خارج حدود منطقة حمايتها في اتجاه الريف . وهي تعني بذلك المنطقة التي حررها الريفيون وطردها الإسبان منها ، لكن لا تعترف للريفيين بأي وجود سياسي ولا تعير أي اهتمام للمقاومة الريفية . لهذا فإن إيطاليا ترى أن الانسحاب الإسباني تحت ضغط الريفيين يعني شيئًا واحدًا : هو أن المنطقة المنسحب منها أصبحت بفعل الواقع داخل نطاق النظام الكولونيالي الدولي ، وعليه فإن مشكلة اقتسامها تبقى مطروحة حتى يتم البث فيها بين الأطراف الإستعمارية القادرة على إثبات وجودها . وقد كانت إيطاليا تتطلع إلى لعب دور أكبر ويسودها الاعتقاد أن استفادتها من الإقتسامات الكولونيالية السابقة كانت ضعيفة بالنظر إلى ما يخوله لها مركزها السياسي والإستراتيجي في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط . وظهر في جريدة " كسيطا ديلببولو " ، يوم 13 ماي 1925 ، مقال تحت عنوان « حرب الريف وإيطاليا » يوضح الموقف الرسمي الإيطالي بلهجة خفيفة فيما يتعلق بأطماع إيطاليا

الإستعمارية ، وبلهجة عنيفة فيما يتعلق بالتعامل مع المقاومة الريفية : « لابس ، إنه لا نزاع في حق الفرنسيين في طرد قطاع الطرق الريفيين من أودية ورغة ، لكن بمجرد أن تطأ قدم كتيبة واحدة من المشاة الزواوية المنطقة الاسبانية ، فإن الاطراف المعنية : إسبانيا ، إيطاليا و إنجلترا في المقدمة سيحتجون لدى باريس . إنه من غير المقبول رفع العلم الفرنسي فوق المنطقة التي انسحبت منها إسبانيا » .

وفي معرضها للحديث عن مشروع تسوية مشكوك فيه بين برمو دي ريفيرا وعبد الكريم ، كتبت نفس الجريدة : « إن فرنسا ترفض المشروع الذي من شأنه إذا طبق أن يفرض عليها تواجد حكومة إسلامية ، مقاتلة ، بلشفية ووطنية على السفح المتوسطي من إمبراطوريتها الإفريقية » .

لامانع ، إذن ، في كون فرنسا تقوم بـ « عمليات أمنية » في المغرب ، لكن شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى مراجعة جديدة لما يعرف في الدبلوماسية الكولونيالية بـ « المسألة المغربية » التي تعتبرها إيطاليا قد انتهت ولو أنها لم تحصل منها على ما كانت تطمح إليه . وتضيف الصحيفة : « سوف لن تقبل إيطاليا تغيير التوازن في

المتوسط الغربي على حسابها ، وهذا ما حدث كثيرا في الماضي .

إنفجار الوضع الكولونيالي بالمغرب وضرورة إعادة ترتيب الأوراق فيما يتعلق بتوزيع الكعك المغربي بين أطراف القوى الإستعمارية لما فيه فائدة إيطاليا ، كان تقريبا هو الهاجس الذي ميز تعامل جل الصحف الإيطالية مع القضية الريفية . وهذا ما تنطرت إليه جريدة " الرينكو " ، في عددها بتاريخ 13 ماي 1925 ، وقد جاء في مقالها عنوان رئيسي يشير إلى « مغامرة عبد الكريم الجنونية » ، حيث كتب ماسييرو ، مُوقِّع المقال : « إذا كان اتجاه تغيير المعاهدة الفرنسية الإسبانية يزداد تأكيدا في ما وراء البرانس ، فإننا سنجد أنفسنا في حالة تحتم علينا تيقظا كبيرا . إن إحداث تعديل في نسق التوازن الذي وافقنا عليه ، لا يهم فقط فرنسا وإسبانيا ، وإنما هو مشكل يتعلق بالسياسة المتوسطية التي تهتم إيطاليا بنفس قدر اهتمام إنجلترا » . وحشت جريدة " الرينكو " على تعبئة الرأي العام الإيطالي دفاعا عن مصالح إيطاليا الإستعمارية . ونادت الصحيفة كذلك بالخروج نهائيا من دائرة « الخمول الأثيم » التي كانت إيطاليا توجد بداخلها ، حيث ترى الجريدة أن فتور إيطاليا

في كل ما يتعلق بالقضايا الكولونيالية هو السبب في ضعف النتائج المحصل عليها في هذا المجال . وفي 15 ماي 1925 ، نشرت جريدة " سيسيليا نوبا " ، قصاصة لمراسها بباريس تطرق فيها للعمل السياسي والعسكري للحماية الفرنسية بالمغرب تحت قيادة ليوطي ، وما يجب على إيطاليا القيام به إذا ماتم احتلال الريف من طرف الفرنسيين ، تقول إحدى الفقرات : « لكن ، إضافة إلى عمل دفاعي ، يجب التأهب إلى عمل هجومي : بعدما تهزم فرنسا عبد الكريم ، يمكن أن ترفع علمها فوق الريف وتستولي عليه مستثمرة ومستغلة لصالحها ، تحت غطاء قانوني ، هذه الفرصة الثمينة . وبعد ؟ بعدها ستتعدى القضية المغربية بكل تأكيد مدلولها المحلي . وسيتبين أن ما قامت به فرنسا لم يعد مجرد إجراء أمني ، ولكن أصبحت له أبعاد أكبر ، وخاصة بالنسبة للإيطاليين : إننا لازلنا نتذكر ما قامت به فرنسا في شرق الجزائر . إنه حقا تذكير مؤلم وتجربة قاسية : إنها تونس التي ضيعناها ا » .

وتحت عنوان « حرب المغرب تهدد بتكلفة غالية ستدفعها فرنسا » كتبت جريدة " كوريرا " ، الصادرة بمدينة تورينو ، مقالا بتاريخ 4 يونيو 1925 ، موجهة الطعنة إلى الدعاية

الكولونيالية الفرنسية ومقللة من مصداقيتها : « إن الحالة في المغرب أكثر خطورة مما يعتقد في فرنسا . إن التلميحات لا تجدي . أن نتكلم عن عملية أمنية كما يفعله البعض في باريس ، معناه مغالطة الجمهور عن قصد » . وخصص ألكونت سفورزا ، وزير خارجية إيطاليا سابقا وسفيرها بباريس سابقا ، مقالا تحليليا في جريدة " كوريرا ديلا سرا " ، مركزا على الأخطاء الإستراتيجية التي ارتكبتها فرنسا في تعاملها مع القضية الريفية : « إن خطأ الفرنسيين ، وبالأحرى قادتهم ، كان هو تفرجهم الماكر على متاعب إسبانيا . كان على السيد بوانكاري والمارشال ليوطي أن يفهما أن عبد الكريم سينقص في يوم ما على المغرب الفرنسي . كان الفرنسيون يعتبرون أنفسهم واقعيين ، كما اعتبروا أنفسهم واقعيين في منطقة ' رهور ' ولم يتضح لهم أن الإمتياز الذي توفره التحالفات أفضل بألف مرة من حسابات الهيمنة ' الماكيافلية ' ، إنه لم يعد في أوروبا الحالية تجزئات مفصولة عن بعضها البعض . كل أوروبا أصبحت مترابطة في الخير والشر » . وعلى هذا الأساس ، يرى ألكونت سفورزا أنه يجب على كل الأوربيين ، الذين لهم مصالح في إفريقيا الشمالية ، ترخيص الصفوف ، وأن

لا يوهّموا أنفسهم بالهدوء السائد من وهران إلى الإسكندرية . والإشارة هنا ضمناً إلى احتمال وارد لانتشار المد الثوري الريفي ليشمل أقطارا عربية مستعمرة تنتمي إلى منطقة جيوة ستراتيكية لا يمكن إغفال دور إيطاليا فيها .

وهكذا ، واصلت الصحافة الإيطالية تغطيتها للأحداث الريفية من زاوية الدفاع عن الأطماع الكولونيالية الإيطالية . ولم تظهر إلا مقالات قليلة تتوخى نوعاً من الإلتزان الإعلامي في معالجة الأحداث . وقد تميزت جريدة " لاسينبا " بتغطية مكثفة نسبياً عن باقي الصحف الإيطالية . ●

د ليوطني الرأس المدبر للعمليات التي أوقفت الهجوم
الريفي ٢٠

« العاصفة الريفية »

بفضل

مراسلها في المغرب ، أرنالدوسيبولا ، استطاعت جريدة " لاستنبا " الإيطالية أن تقوم بتغطية أكثر كثافة ، وذلك مقارنة بباقي الصحف الإيطالية . ولم تكتف بتغطية أحداث الحرب الريفية فقط ، بل انكبت في الكثير من مقالاتها على تحليل بعض معطيات نظام الحماية الفرنسية مع صبغة التشويق الدعائي الكلاسيكي التي كانت تطبع في بعض الأحيان كتاباتها . وهكذا ، خصصت ' لاستنبا ' مقالا ، يوم 20 ماي 1925 ،

تحدثت فيه عن «مغامرة عبد الكريم» وعن الدور الهام الذي كانت تلعبه مصالح الإستخبارات الفرنسية بالمغرب : « لعله من المفيد الإشارة إلى أن هجوم عبد الكريم كان متوقعا ، والذين يؤكدون أن هذا الهجوم فاجأ القيادة الفرنسية يجهلون وجود جهاز رائع يشكل القاعدة الأساسية للحماية ، ويتعلق الأمر بمصالح الإستخبارات التي تعمل إلى جانب القواد المغاربة الكبار . ويُسيّر هذه المصالح ضباط لهم إلمام كبير بمعرفة البلد . وفعلا ، لقد أثاروا الإنتباه إلى هذا الخطر في الوقت المناسب » . وفي 26 ماي 1925 نشرت " لاستبنا " لنفس المراسل ، مقالا يشير إلى ميول ليوطي لتفضيل النظام الملكي ، ويؤكد ، على عكس الدعاية الليوطية ، أن ازدهار منطقة الحماية الفرنسية هو ازدهار سطحي فقط ، وأن فرنسا ، على كل حال ، تتمتع في المغرب بظروف أفضل مما هو الشأن بالنسبة لإسبانيا ، كما أنه تم اكتشاف المغرب من طرف الإيطاليين قبل الفرنسيين بكثير . ويضيف سيسبولا في مقاله : « ولكن في الحقيقة ، المغرب هو اليوم بلد كثر حساده ، والفرنسيون يحبون إظهار غيرتهم على امتلاكه ، وإنني بكل إخلاص ، أشاطرهم هذا الشعور » . ويرى سيسبولا أن احتلال المغرب لم

يعد مشكلة : « من الذي وقف ضد الوجود الفرنسي بالمغرب وما يزال ؟ إنهم أولئك الذين ليس لديهم ما يخسرونه في هذا الصراع : قبائل الجبال الوعرة ، البدوية والفقيرة . وليست غالبية المغاربة الذين يعتبرون من أطف وأطيع العرب » .

لقد كان سيبولا من خلال مقالاته واضحا في تركيته للدعاية الكولونيالية الفرنسية ، ويرى مثلا أن وسائل النقل قد طورها الفرنسيون كثيرا في سعيهم لبناء مغرب حديث ، إلى درجة أن « حتى الجمال أصبحت متحضرة ، بحيث أنه كلما أحست باقتراب سيارات منها ، انزاحت جانبا و لم تعد تعترض طريق السيارات كما هو الحال قبل عشر سنوات » . إن هذا الجانب الدعائي الترفيهي في مقالات سيبولا لتسلية القارئ، لم يكن ليخفي الإنشغالات السياسية الإيطالية في المنطقة أو ليصرف النظر عن أحداث الريف بالذات . وهكذا ، جاء في مقال له بتاريخ 2 يونيو 1925 : « وإجمالا ما يشغل بال القيادة الفرنسية على الخصوص ليست هي قوات عبد الكريم المتحصنة والمسنقرة في " بيان " ومناطق أخرى في الشمال ، ولكنها دعاية مبعوثي عبد الكريم الذين يجوبون البلاد ويتعذر إلقاء القبض عليهم . لقد أصبح القلق

يعم البلاد بسبب تلك الأحداث » . ودفعت به هذه الملاحظة إلى مقارنة المغرب بباقي بلدان إفريقيا الشمالية : « إن المغرب ليس كبلدان الشمال الإفريقي الأخرى التي هي عبارة عن مجموعة من القبائل بلا وعي جماعي ولا بما يمكن أن نسميه روحا وطنية . على العكس ، إن للمغرب هوية تاريخية ودينية تركتها الحماية بدون تغيير » . في حين بدا له ليوطي في وضع يفرض هذا التساؤل : هل سياسة ليوطي جاءت نتيجة لتضافر عوامل شتى لصالحه ، أم أن ليوطي تمكن فعلا من غرس جذور الإستعمار الفرنسي عميقة في المغرب ، بحيث يصعب على العاصفة الريفية اقتلاعها ؟

كما قارن الدعاية الفرنسية ضد الريفيين بدعاية فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى ضد الألمان نظرا لاستعمالها تقريبا نفس الشعارات الدعائية : حيث قورن عبد الكريم بغيلوم ، واتهم القائد الريفي بمشاريعه الإمبريالية بما فيها خلع السلطان ، كما أن الهجوم على فاس وصف بـ « ناخ فاس » - عبارة ألمانية معناها : في اتجاه فاس - ، ومعركة فاس وصفت بمعركة لامارن ، ووصف الريفيون ببوش إفريقيا (وكلمة بوش كانت تعني « ألماني » في الدعاية الفرنسية) . ويقول سيبولو بصدد تعلق الفرنسيين

باستيلائهم على المغرب : « لقد اعتقد الفرنسيون أنهم في بلدهم ، لهذا فإنهم لا يرون غول الإسلام الذي يظهر على أطلال مكناس ، قرب أسوار أگدال الهائلة . هذا البلد المتداعي (المغرب) والمنهوك فتن الروح الفرنسية أكثر من أي بلد نائي آخر ، حيث أدى غليان وإمبريالية فرنسا التاريخية إلى تفعيل عدوانيتها تحت أشكال متعددة من أجل البحث عن الثروة » . ويتاريخ 6 يونيو 1925 ، ظهر مقال في " لاستنبا " ، وقد تألفت مادته الأساسية من حديث صحفي أجراه سيبولا مع الجنرال هاش ، قائد أركان حرب ليوطي ، الذي وصفه المراسل بـ « الرأس المدبر للعمليات التي أوقفت الهجوم الربي » . وكان القنصل الإيطالي بالرباط ، طونسي ، هو الذي ساعد سيبولا على إجراء عدة لقاءات مع مسؤولين عسكريين و مدنيين كبار يعملون بالإدارة المركزية للحماية . وكتب سيبولا بهذا الصدد : « إنني متفائل (...) وأرى من الآن أن مصالح إيطاليا في هذا البلد مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمصالح الفرنسية . وإذا تزعزعت المصالح الفرنسية ، فإن التسعة أو العشرة آلاف إيطالي الذين يعيشون في المغرب سيجدون أنفسهم في وضع سيء » ، ويقول حول موضوع القواد المغاربة : « كل

القواد المغاربة ، سواء أكانوا صفارا أم كبارا ، أصبحوا أثرياء بفضل الحماية ، ولهذا فإنهم يعتبرون أقوى دعامة للنظام . « وحول فواد المنطقة الجنوبية بالتحديد ، كتب سيبوللا ، يوم 26 يونيو 1925 ، موضحا وفاءهم لنظام الحماية وولايتهم لليوطي الذي يغذي الإنشقات والحزازات بينهم ، وفي نفس الوقت يجزل العطاء لكل واحد منهم على حدة . لكنهم فيما يتعلق بالقضية الريفية ، بدوا وكأنهم عاجزون عن تأدية مهمتهم : « إلا أن أمراء الأطلس اليوم ، فيما يخص عبد الكريم ، عبروا بكل احترام عن عدم قدرتهم على تلبية الدعوة الرامية إلى نقل « حركاتهم » إلى الشمال لدعم الجيش الفرنسي . وقالوا إن قبائلهم ترفض مجابهة بطل الاسلام » . وفيما يخص موقف السلطان مولاي يوسف من القضية الريفية ، فإنه خلافا لما كانت الدعاية الفرنسية تردده ، مدعية أن مولاي يوسف صرح بأن الريفين ليسوا منه أو أنه قال : « إنني لا أعرفهم » ، كتب أرنالدو سيبوللا : « الكل في المغرب يقول إن مولاي يوسف غير ذي شكيمة ، لكن هذا غير صحيح . لقد برهن مولاي يوسف عن قوة إرادته عندما قدم له ليوطي ظهيرا يتعلق بالتجنيد العسكري الإجباري ، فرفض أن يوقع عليه ،

مكذبا بذلك كل التوقعات . ولم تتفع معه لا إصرارات الإقامة العامة ولا تدخلات باشا مدينة مراکش » . وأورد سيبولا كذلك خبر عدد من الإعتقالات التي تعرض لها قضاة مغاربة في منطقة فاس ومكناس ، بهدف ممارسة مزيد من الضغط على القبائل التي كان هؤلاء القضاة ينتمون إليها حتى لا تبادر بتقديم أي دعم للريفين .

نعم ، لقد تميزت مقالات " لاستنبا ' بنوع من الكفاءة المهنية التي لا تخلو من أهمية ، لكن خلفية سياستها الإعلامية هي نفس الخلفية التي كانت تعبر عنها مضامين مقالات الأغلبية الساحقة للصحف الإيطالية الأخرى . بمعنى آخر ، أن ردود الصحافة الإيطالية حول القضية الريفية بشكل عام لا تعدو كونها امتدادا لدعاية كولونيلية كلاسيكية من وجهة نظر إيطالية . ●

« لو لم تكن الجيوش الكولونiale مدعومة بمئات الآلاف من المتعاونين المرتزقة ، لما استطاعت أن تقهر المقاومة الريفية . »

قرار الإستسلام

لا شك فيه أن تجربة المقاومة المغربية في الريف غنية جدا بالدروس والعبر ، ومهما قيل ومهما كتب عن الثورة الريفية فإنها ما زالت في حاجة ماسة إلى مضاعفة المجهودات الجادة لإلقاء المزيد من الأضواء على مختلف مراحلها ، وتحليل مكوناتها في إطار شمولي مبني على البحث المتأنّي والدراسة المتحصّصة لعناصرها المتداخلة ، وربط ظروف ظهورها وتطورها بسياقها التاريخي ومدلولها السياسي والفلسفي ، كل ذلك بهدف استثمار



نتائجها لفائدة الأجيال حاضرا ومستقبلا على اعتبارها حلقة متصلة من حلقات إثبات الذات الوطنية على أسس راسخة وفي مستوى تحديات المنعطفات التاريخية والهزات الفكرية والثقافية وما ينجم عنها من وثبات علمية وتوجعات حضارية . انتهت حرب الريف وبقيت معطيات نتائجها العسكرية غير مضبوطة إلى حد الآن .

● الحصيلة العسكرية :

رغم مرور أكثر من سبعين عاما على أحداث حرب الريف ، فإن حصيلتها العسكرية مازالت غير معروفة على وجه الدقة : الخسائر الريفية غير معروفة بتاتا ، والخسائر الإسبانية كانت مرتفعة جدا ، حيث يعد القتلى بعشرات الآلاف ، ناهيك عن المعطوبين والجرحى والعتاد الحربي والمعدات ونفقات الحرب الباهظة ، وأما الخسائر الفرنسية فإنها أكثر بكثير مما صرحت به السلطات الفرنسية للرأي العام .

عندما قرر عبد الكريم استسلامه للفرنسيين ، في صبيحة يوم 26 ماي 1926 ، تحرك موكب بضم : 6 ضباط و 8 ضباط مساعدين و 27 جنديا من الفرنسيين ، 112 جزائريا وسنغاليا ، 105 إسبانيا ، و 25 فردا لا يرتدون

الذي العسكري ، كانوا كلهم سجناء عند الريفين . وكان
موكب عبد الكريم يتألف من 220 بغلا حملت عليها عدة
أشياء تمت مصادرتها من طرف الفرنسيين . وعلى الساعة
الخامسة صباحا يوم 27 ماي 1926 ، وصل موكب عبد
الكريم إلى المواقع الأمامية للفرقة العسكرية المغربية التي
كان يقودها الجنرال أيبوس ، وكان الزعيم الريفي محاطا
بالشريف حميدو الوزاني ، الذي سبق له أن تفاوض مع
الفرنسيين حول شروط « الأمان » بشأن استسلام عبد
الكريم ، والنقيب البحري مونتان ، والقبطان سيفارن من
مصلحة الإستخبارات . ومن بين قادة الحركة الريفية الذين
استسلموا للفرنسيين مع عبد الكريم ، كان هناك : عبد
السلام ، محمد الخطابي . محمد أزرقان ، محمد بوجيبار ،
عبد الكريم بن حدو ، محمد ولد الحاج والفيقي بولحية .
ومن ضمن ما صرح به عبد الكريم للفرنسيين عقب
استسلامه مباشرة : « حضارتكم مبنية على النار والحديد !
تتفرون على قنابل و قذائف ضخمة ، لهذا تعتبرون أنفسكم
متحصرين ! وليس لدي سوى خراطيش البندقية ، لهذا
فإنكم تعتبرونني متوحشا ! » .
وفي يوم 21 أكتوبر 1925 ، قدم رئيس الوزراء

الفرنسي ، بول بانلوفي ، حصيلة أولية : 158.000 جندي خاضت المعارك ضد الريفيين ، وبلغت نفقات الدولة مليار و350 مليون فرنك ، أما الخسائر البشرية من بداية العمليات إلى حدود 15 أكتوبر 1925 ، فقد سجلت ، حسب تصريحه ، 2176 قتيلا ، منهم 59 ضابطا ، و8297 جريحا . وأعلن نائب كاتب الدولة لدى وزير الحرب ، يوم 23 دجنبر 1925 ، عن أرقام جديدة : (1) القتلى : 140 ضابطا و 2500 من الجنود ، من بينهم 1800 فرنسي . (2) المفقودون : 20 ضابطا و1200 من الجنود ، من بينهم 225 فرنسيا . على أن هذه الخسائر لاتهم إلا الفترة الممتدة ما بين أبريل ونونبر 1925 . وكان واضحا من خلال تضارب التصريحات نفسها أن الخسائر الفرنسية كانت أكثر من ذلك بكثير . ولو لم تكن الجيوش الكولونiale مدعومة من طرف مئات الآلاف من المتعاونين المرتزقة ، لما استطاعت أن تقهر المقاومة الريفية التي كادت أن تنزل بالعدو هزيمة نكراء . وبعد ثلاثين سنة على حرب الريف ، صرح كل من كريستيان بينو وبيير كلوسترمان ، أمام البرلمان الفرنسي يوم 21 مارس 1956 ، بحصيلة أخرى إجمالية : « في سنة 1926 ، كان يلزمنا 325.000 رجل لكسب حرب الريف .

ولم تكن لعبد الكريم إلا فرقة واحدة من قبيلة بني إزناسن تتألف من حوالي 75.000 رجل ، وكان فقط زهاء 20.000 منهم مسلحين . حشدنا على خط النار 32 فرقة عسكرية و44 سربا من الطائرات المقاتلة ، والكل كان تحت قيادة 60 جنرالا وعلى رأسهم المارشال بيتان . هذا الجيش الفرنسي هو الجيش الذي خرج منتصرا من الحرب الكبرى 1914-1918 . وكان جيشا محترفا ومساندا من طرف ثلاثة أخماس سكان المغرب الذين دعمونا بـ 400.000 جندي إضافي !

ومن جهتهم ، جمع الإسبان حشودا عسكرية وأسلحة حربية متطورة لاتقل أهمية مما كانت عليه القوات الفرنسية ، وأما الدعم العسكري الإنجليزي للقوات الكولونيلية المتحالفة فغير معروف . وهذا يعني أن ما إجماله مليون رجل مدججين بالسلاح وينتمون إلى جيوش نظامية تحتل الصدارة على المستوى العالمي ، كانوا في مواجهة حفنة من المقاومين لا يتعدى عددهم ستين ألف مجاهد كحد أقصى والذين كان أغلب سلاحهم يتألف من بنادق عادية . في ظروف والحالة هذه ، هل يعتبر ذلك نصرا للقوات المتحالفة ؟ على أي ، بالنسبة للريفيين يعد الذين استشهدوا منتصرين لأنهم ماتوا شهداء في سبيل الحق والحرية ودفاعا عن قضيتهم العادلة !

ومن هذا المنظور لا أعتقد أن الريفيين خسروا الحرب ،
خاصة وأنه في إطار السيرة التاريخية والإستمرارية
النضالية التي ميزت الشخصية الريفية على توالي
الأحقاب ، تجعل من حرب الثورة الريفية برمتها مجرد
معركة ، أما حرب الكرامة والعز فستظل قائمة مادامت في
الريف روح ترقق !

● الحصيلة السياسية :

نعم ، كانت الحركة الريفية مهيكلية عسكريا وسياسيا ،
وجاءت بنتائج سياسية هامة ، من بينها زعزعة النسق
الكولونيالي في العمق ، حيث ساهمت في تفتيت جبروته
وفضح أساليبه المبعوضة ودعايته الحضارية الكاذبة ، ليس
على الصعيد المغربي أو الشمال الإفريقي فحسب ، بل على
الصعيد العالمي . وفعلا ، لقد أطلقها أبناء الريف صرخة
مدوية في وجه الهمجية والطغيان ، وبلغت أصداؤها كل
الآفاق ، وأعطت الأمل الكبير لكل الإنسانية المضطهدة في
بزوغ عهد جديد ، حيث بات من الواضح أن أغلال
الإستعمار والإمبريالية لا بد وأن تنكسر تحت إرادة الشعوب
من أجل الإنعتاق وطموحها الطبيعي للعيش في ظل الحرية
والكرامة . واعترف العالم بأسره ، أعداء وأصدقاء ،

لأبناء الريف بشهامتهم المذهلة وقدرتهم الفائقة على التحدي . لقد استشهد بكفاحهم البطولي واستفاد من تجربتهم التاريخية زعماء ووطنيون في آسيا وأمريكا اللاتينية . وعندما كان ماوتسي تونج وهوشي منه يذكران الثورة الريفية ، فإنهما لم يكونا يذكرانها من باب الإستحضار التأملي أو لمجرد الإشارة التاريخية ، وإنما يشيران الإنتباه إليها كمدرسة للتحرير بكل مفاهيمها العميقة وامتداداتها الزمانية والمكانية. إن الثورة الريفية ساهمت بكل تأكيد في تعزيز نظرة العنصر المغربي إلى تاريخه بدون أن يخجل من نفسه أو يفقد الثقة فيها ، وكانت هذه واحدة فقط من عصارات العبقرية الريفية التي حققها مجاهدو عبد الكريم بدمانهم الطاهرة ، وتركوها تحفة جهادية تتوارثها الأجيال وتحرص على الذود عن مضمون رسالتها بكل فخر واعتزاز .

لقد غادر عبد الكريم الريف بجسده ، لكن روحه وفكره ظلا سراجا منيرا لكل أبناء المغرب الغيورين على بلدهم والمتشبثين بهويتهم الثقافية والحضارية . ولا جدال في كونه من عظماء التاريخ ، كما أنه لا جدال في كون أبناء الريف باقين على العهد دفاعا عن الكرامة والعدل والحرية بالمفهوم

الصحيح الذي لا يترك مجالاً للتلاعبات اللفظية والشعارات
الزائفة . وبعد عمر حافل بالإنجازات البطولية والمواقف
الوطنية الثابتة ، فارق الزعيم الريفي الحياة في يوم 6 فبراير
1963 بالقاهرة . وكأنني به يردد مقولة مشهورة لبطل
عربي ، لعله خالد بن الوليد : ها أنا أموت على فراشي ،
وليس في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ،
فلا نامت أعين الجبناء !! ●

« محمد بن عبد الكريم الخطابي في نظر الصحافة التقدمية
الأوربية ، أحد رموز التحرير العالمي . »

هذا الكتاب ..

بقلم : عبد العزيز خلوق التمسamani *

حظيت ثورة الريف بدراسات مونوغرافية جادة : اعتبرتها حدثا بارزا في تاريخ المقاومة المسلحة المغربية ، وانتفاضة فلاحية نضالية هزت قواعد الإمبريالية الأوربية وأعطت إشارة الإنطلاقة لحركة تحرير الشعوب المستعمرة المقهورة في المرحلة العشرينية . في هذا السياق ، يقدم الباحث الطيب بوتيقات - في هذا العمل المفيد الذي تنشره

* باحث جامعي رئيس شعبة التاريخ كلية الآداب بالرباط

« وكالة شراع » الفتية - صورة واضحة عن أصدائها في الصحافة الدولية المعاصرة لها .

يستهل تحليله بتسليط الأضواء على الجهاز الإعلامي الإسباني والفرنسي في المغرب ، الذي كان ينطوي على قدر كبير من البهتان وتشويه الحقائق وتزويرها ، واقتراء الأكاذيب التضليلية المتعلقة بالحملات العسكرية الغازية في الجبهة الريفية ، كاشفا النقاب عن الوسائل التي لجأ إليها هذا الجهاز لترويض المراسلين العسكريين ، مركزا أساسا على مواقف الصحافة الأوربية من الكفاح الريفي .

وهكذا ، يتقصى المؤلف مضامين مجموعة ضخمة من الصحف الإخبارية ، ويوضح وجهات نظرها وتفسيراتها ، ملاحظا أنها تنوعت بين مؤيدة للحركة الريفية الجهادية ، ومعادية لها . وهنا ، يورد أمثلة عنها ، مبرزاً حملة الحزب الشيوعي الفرنسي المناهضة لسياسة القوة في الريف ، متحدثا بشكل واف عن الهزة العنيفة التي أحدثتها « إمارة » ابن عبد الكريم في الأوساط السياسية السوفييتية ، مستعرضا نداءات الحركات الاحتجاجية الواسعة التي عمت أرجاء العالم ضد سياسة القمع الإستعمارية في الأصقاع الريفية ، مهتما بالمقالات المنشورة

حول حرب الريف في الصحف اليومية الإسبانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية والسويسرية ، المساهمة في تكوين الرأي العام بتأثير كتابات مُحَرِّريها وكتابها ، محاولا أن يستشف بروح نقدية ما وراءها من مواقف .

من جهة ، يرى الطيب بوتيقالت أن الصحافيين المناوئين للمقاومة الريفية جعلوها قمرًا عشائريًا محليًا ، واعتبروا قيادتها رمزا للعصيان ، فرسموا لها صورة قاتمة ، وشوهوها في مظاهر سلبية .

من جهة أخرى ، يلاحظ الكاتب أن الصحافة التقدمية الأوربية اتخذت موقفًا مناهضًا للوجود الأجنبي الدخيل ، المتمثل في نظام الحماية المتسلط على البلاد . وقد استرعى محمد بن عبد الكريم الخطابي أنظارها بصفته أحد رموز التحرير العالمي ، وقائدًا عسكريًا فذاً ، ومحرراً ، فقارنته بسيمون بوليفار (1783 - 1830) ، أحد أقطاب حركة التحرير في أمريكا اللاتينية ، واقترن صانع الملحمة الريفية ، في الصحافة السويسرية ، بغليوم تيل ، أحد رموزها البطولية المشهورة .

خلاصة القول : إن د . الطيب بوتيقالت بحث طويلاً ، فوضع بين أيدينا إنجازاً إعلامياً وتاريخياً تضمن أحكاماً

تشير التساؤلات ، تدعونا إلى إعادة النظر فيما كتب عن
المجاهدين الريفيين . فعمله يستحق التنويه ، لأنه بذل
جهودا شاقة في تحليل المقالات الأجنبية النادرة الخاصة بهذه
الحركة الوطنية التحريرية التي ظلت - لحد الآن - غامضة في
كثير من جوانبها . ●

محتويات الكتاب :

صفحة

- 4 ● وسام المسؤولية ..
- 13 ● السياق التاريخي لثورة الريف
- 23 ● مواقف الصحافة الإسبانية
- 32 ● التعاون الفرنسي الإسباني في الريف
- 43 ● الحزب الشيوعي الفرنسي وحرب الريف
- 50 ● « مهرجان لونا بارك »
- 60 ● سياسة التهدة
- 66 ● الشيوعية في المغرب
- 75 ● مصبر عبد الكريم
- 84 ● مواقف الصحافة الألمانية
- 92 ● ترتيب الأوراق
- 100 ● « العاصفة الريفية »
- 108 ● قرار الاستسلام
- 117 ● هذا الكتاب ..

- شعارنا الثقافي والإعلامي في محيط العمل والأسرة : «من أجل مجتمع مغربي قارئ».
 - الأعداد السابقة من «سلسلة شراع» ، توجد تحت الطلب بوكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال : (137 شارع ولي العهد – طنجة) .
-

- لطبع ونشر الكتب بشكل أنيق وتكلفتها أقل ، « وكالة شراع » رهن الإشارة .

● إصدارات «سلسلة شراع» : (10 دراهم

العدد 1 / مارس (1996) :

● المهدي المنجرة - « حوار التواصل »

العدد 2 / أبريل :

● م.ع. المساري - « المغرب بأصوات متعددة »

العدد 3 / ماي :

● عبد الجبار السحيمي - « بخط اليد »

العدد 4 / يونيو :

● مصطفى القرشawi - « قضايا راهنة »

العدد 5 / يوليو :

● نجيب العوفي - « مساءلة الحداثة »

العدد 6 / غشت :

● وكالة شراع - « باهي .. الصحافي والمناضل »

العدد 7 / سبتمبر :

● لحسن العسبي - « اللذة والعنف »

العدد 8 / أكتوبر :

● عبد الله كنون - « في اللغة والأدب »

العدد 9 / نوفمبر :

● عبد العني أبو العرم - « الثقافة والمجتمع المدني »

العدد 10 / ديسمبر :

● قاسم الزهيري - « قضايا وشجون »

العدد 11 / يناير (1997) :

● العياشي أبو الشتاء - « الباحة والسنديان »

العدد 12 / فبراير :

● عبد الرفيح حواهري - « أصحاب السعادة »

العدد 13 / مارس :

● حسن نجمي - « الناس والسلطة »

العدد 14 / أبريل :

● الطيب بوتبقات - « عبد الكريم الخطابي »



كتاب الشهر القادم من

« سلسلة شراع »

هاجس التغيير الديمقراطي

عبد القادر العلمي

دار النشر المغربية
الديما

0539 44 11 11



الطبع

الشبكة العربية للإيقية للتوزيع والنشر والصحافة
سيريس

0539 44 11 11



التوزيع

رقم الإيداع القانوني :

1995 / 1043

SÉRIE "CHIRAA"

LIVRE: MENSUEL PUBLIÉ CHAQUE MOIS
PAR L'AGENCE CHIRAA POUR SERVICES
D'INFORMATION ET COMMUNICATION

DIRECTEUR DE LA REDACTION : KHALID MECHBAL
CONSEILLER ARTISTIQUE : AHMED BEN YESSEF

CENTRE DIRECTION

137. PRINCE HÉRITIER - TANGER

TEL : 94.42.12

37.39.27

FAX : 94.42.16

QUATORZIÈME NUMERO : DOU'EL KAADA 1417 - AVRIL 1997



● يحق لنا أن نفخر بإعلامي باحث في مستوى الدكتور **الطيب بوتبقالت** ، لمنهجيته العلمية العالية في استنطاق وقائع وأحداث تاريخنا الوطني ، ودحض افتراءات ومزایدات المؤرخين الأجانب ..

● وكل كتابة سرديّة للتاريخ تكون ناقصة وغامضة وخادعة ، إذا لم تستند أساساً على عناصر الإستدلال والمقارنة والإستنتاج .. وهذا ما يميز أبحاث ودراسات صديقنا **الطيب بوتبقالت** ، فهو متمكن من أدوات المخبرية في تحليل وعلاج النصوص المرجعية القديمة ..

● الأوساط المهمة في إعلام الغرب خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية ، تشهد بكفاءته العلمية ، وتقدر فيه أناة الباحث الطلع الذي يجيد الغوص في أعماق التاريخ لاكتشاف خباياه وأسراره ..

● **الطيب بوتبقالت** من الدعاة المحمسين إلى تجديد الخطاب الإسلامي في المغرب ..

خالد مهبال